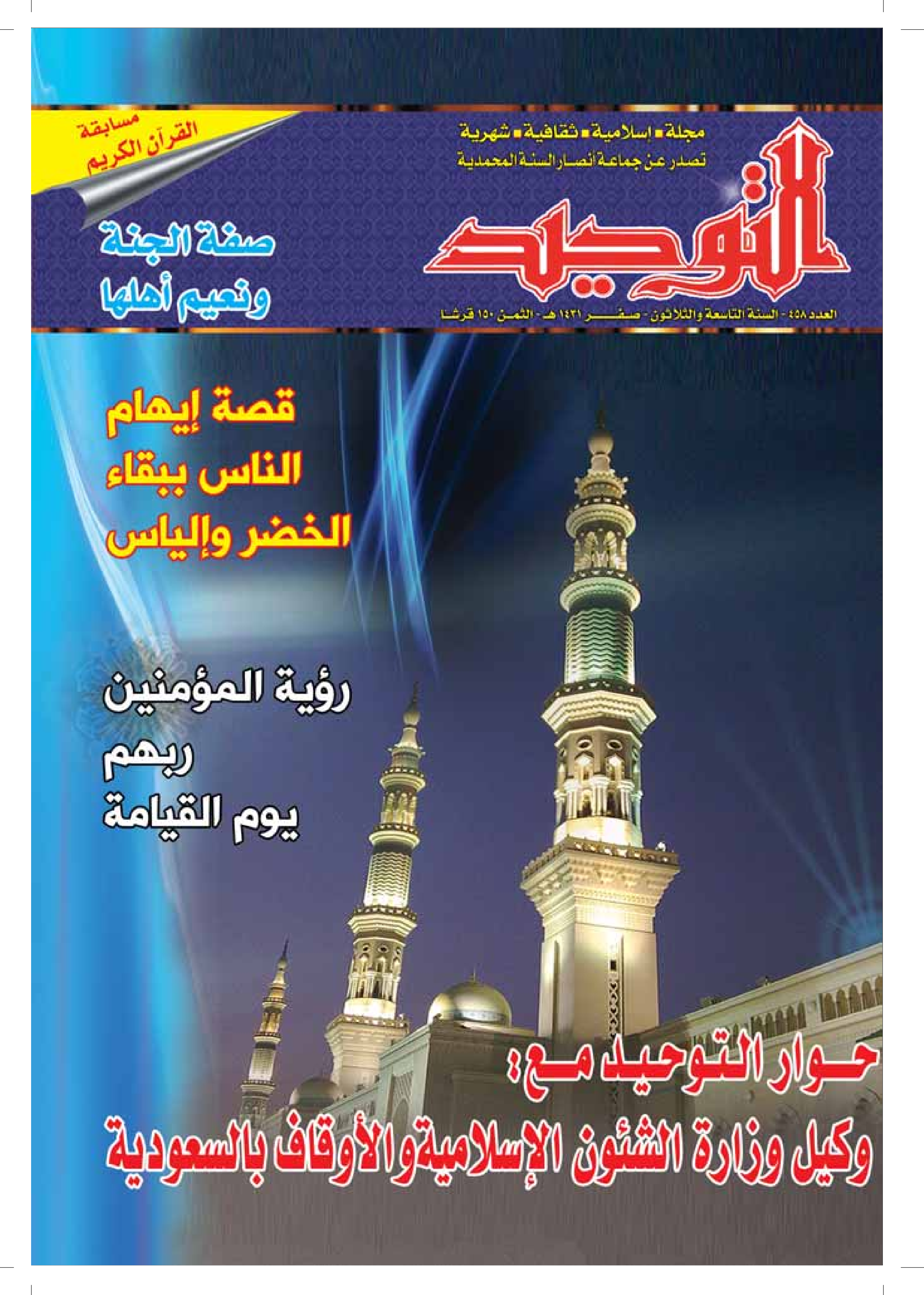


مسابقة
القرآن الكريم
مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
العدد ٤٥٨ - السنة التاسعة والثلاثون - صفـــر ١٤٣١ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
صفة الجنة
ونعيم أهلها
قصة إيهام
الناس ببقاء
الخضر وإلياس
رؤية المؤمنين
ربهم
يوم القيامة
حوار التوحيد مع:
وكيل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بالسعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة التاسعة والثلاثون

العدد ٤٥٨ صفر ١٤٣١ هـ

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر

المشرف العام

د. عبدالعظيم بدوي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

موقع المركز العام:

WWW.ELSONNA.COM

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١ـ في الداخل ٢٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢ـ في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

م. دار الجمهورية للصحافة

"السلام عليكم"

التشويه الخطير

أحد الذين أرادوا أن يعيشوا أجواء ذكرى الهجرة النبوية، لكن على طريقته (ذائبة الشخصية)، مسلوخة الهوية، مهزومة النفسية.

فبينما هو يقف على المنبر خطيباً في الناس، إذ دخل أحد الوزراء، فأوقف الخطبة (خمسة حتى يدخل الوزير) على حد تعبيره.

وبدأ يصف الوزير بأنه «المؤاخي» بين المسلمين، كما آخى الرسول £ بين المهاجرين والأنصار، وأنه «المهاجر» الذي هاجر من بلده إلى القاهرة من أجل الفقراء، وسأل الله له عمراً فوق عمره؛ ليستمر في هجرته من أجل الفقراء!!

ويا ليته وقف عند هذا الحد، لكنه أخذته النشوة، وغمرته الغبطة، فقال للوزير: والخير جرى في مصر عامة والشرقية خاصة على يديك، فأنت القائل للشيء: «كن فيكون»!!

فبعدما ألبس الوزير ثوب رسول الله £ ، ألبسه ثوب صفة ليست إلا لله، وحاشا لله.

لقد رأى رسول الله £ رجلاً بصق في القبلة، وهو يصلي ببعض الناس، فقال: «لاَ يُصَلِّي لَكُمْ ». فَأَرَادَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ لَهُمْ فَمَنَعُوهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ £ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ £ ، فَقَالَ: « نَعَمْ، إِنَّكَ آذَيْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ». [صحيح سنن أبي داود للألباني ٥٠١].

فهل سيصلي هذا المؤذي لله ورسوله بالناس مرة أخرى؟!

بل نوصي الناس بما أوصى به رسول الله £ : « إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ».[مسلم: ٣٠٠٢].





البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٢٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٢٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية



"في هذا العدد"









الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.. وبعد:

فإن المسلم الحق هو الذي تتمثل فيه مبادئ الإسلام، وتكون واقعًا عمليًا في حياته، وقد ذمَّ الله تعالى قومًا خالفت أفعالُهم أقوالَهم، فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

ففي الآية الأولى إنكار على الذين يقولون ما لا يفعلون، وفي الثانية الإعلام ببغض الله لمن يكون كذلك، قال ابن سيده: «المقت: أشد الإبغاض» [لسان العرب لابن منظور ٢ / ٩٠].

كما نعى الله على أهل الكتاب أمرَهم الناس بالبر وتركهم له، فقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

يقول ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم، فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قصَّر في أوامر الله؟! أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم، فتنتبهوا من رقدتكم، وتتبصروا، وهذا ما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾، قال: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر، ويخالفون، فعيَّرهم الله عز وجل، وكذلك قال السدي». [تفسير ابن كثير ١/ ١٣٥].

وعلى هذا فيجب على كل مسلم أن تصدِّق أفعالُه أقوالَه، وأن ينأى بنفسه عن صفات قوم ذمَّهم الله في كتابه.

إن التناقض بين القول والفعل من الأمور الخطيرة التي تمس قضية الإيمان، ومن حاول أن يتجمل بما ليس فيه، أو يتظاهر بالصالحات؛ فلا بد أن يتعرى يومًا ما؛ لأنه لا بد أن يظهر المخبوء على طول المعاملة، كما قال الشاعر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

إن صلاح الداعية أبلغ وسيلة تقود الناس إلى الله تعالى، وأصحاب الأخلاق الفاضلة لهم من شرف السيرة وجلال الشمائل ما يبعث على الإعجاب بهم

وإذا كانت القدوة الحسنة مطلوبة من عموم المؤمنين، فإن الأمر بها يتأكد في حق الدعاة إلى الله عز وجل، ويكون بهم ألزم.

إن القدوة الحسنة طريق يجب أن يسلكه جميع الدعاة، وهي التي ستحقق لهم الكثير في دعوتهم، وتختصر لهم الطريق، وتوفر عليهم جهودًا كبيرة.

إن صلاح الداعية أبلغ وسيلة تدعو الناس إلى الله، وأصحاب الأخلاق الفاضلة لهم من شرف السيرة وجلال الشمائل ما يبعث على الإعجاب بهم والإنصات إلى أقوالهم، ولهذا أمر الله النبي £ أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين السابقين عليه؛ لأنهم دعاة خير وفضيلة، وأصحاب منهج وحَمَلَة رسالة.

قال الله تعالى بعد ذكره لثمانية عشر نبيًا ورسولاً في كتابه موجهًا الخطاب للنبي £ : ˚ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ˝ [الأنعام: ٩٠]، وهذا أمر صريح من الله جل وعلا للنبي £ باتباعهم والاقتداء بهم.

قال الإمام ابن جرير – رحمه الله –: «يقول تعالى ذكره: أولئك: هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وُكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جل ثناؤه لذلك، فبهداهم اقتده، يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم والتوفيق الذي وفقناهم اقتدِه يا محمد £ ، أي: فاعمل وخذ به، واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضا، ومنهاج من سلكه اهتدى، وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله: ˚ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ˝ أنهم الأنبياء المُسَمَّوْنَ في الآيات المتقدمة، وهو القول الذي اخترناه في تأويل ذلك». [تفسير ابن جرير ٧ / ١٧٥-١٧٦].

وأول أمر يجب أن يُقتَدى بهم فيه هو توحيد الله تعالى وعبادته وحده دون سواه، ونفي الشريك عنه جل في علاه، ثم الاقتداء بهم في جميع الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة الرفيعة.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله– في هذه الآية: «أولئك الأنبياء الثمانية عشر الذين ذُكرت أسماؤهم في الآيات، والموصوفون في الآية الأخيرة بإيتاء الله إياهم الكتاب والحكم والنبوة، هم الذين هداهم الله تعالى الهداية الكاملة، فبهداهم اقتد أيها الرسول £ فيما يتناوله كسبك وعملك مما بعثك به من تبليغ الدعوة، وإقامة الحجة، والصبر على التكذيب والجحود، وإيذاء أهل العناد والجمود ومقلدة الآباء والجدود، وإعطاء كل حال حقها من مكارم الأخلاق، وأحاسن الأعمال، كالصبر والشكر، والشجاعة والحلم، والإيثار والزهد، والسخاء والبذل والحكم بالعدل». [باختصار وتصرف من تفسير المنار ٧ / ٥٩٧-٥٩٨].

وقد شهد الله تعالى للنبي £ بأنه جاء بالحق وصدق المرسلين، فعلُم بهذا أنه كان مهتديًا بهداهم جميعًا، وبهذا كانت مناقبه وفضائله أعلى من جميع فضائلهم ومناقبهم؛ لأنه اقتدى بها جميعًا، فاجتمع له من الكمال ما كان متفرقًا في غيره، ولذلك شهد الله تعالى له بما لم يشهد به

قد شهد الله تعالى للنبي ﷺ أنه جاء بالحق وصدق المرسلين، فلذلك اجتمع فيه ﷺ من الكمال ما كان متفرقًا في غيره من الرسل؛ لأنه اقتدى بهم فكانت فضائله ومناقبه أعلى من جميع مناقبهم وفضائلهم، لذا قال الله له: «وإنك لعلى خلق عظيم»

لأحد منهم؛ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ولهذا يجب علينا الاقتداء بالنبي المجتبى والرسول المصطفى ﷺ، فهو إمام المتقين وقائد الغُرّ المحجلين، وهو الذي أمرنا الله في كتابه أن نتأسى به، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير في شرحه للآية: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته، ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [تفسير ابن كثير ٣ / ٦٤٢].

وقد عقد الإمام البخاري في الصحيح في كتاب الاعتصام بابين: قال في الأول: «باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وقول الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. قال: أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا». [صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ٢، ج١٣ / ٢٤٨].

وقال في الباب الثاني: «باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ». قال ابن حجر في شرحه: «الأصل فيه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وقد ذهب جمع إلى وجوبه؛ لدخوله في عموم الأمر بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ وبقوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

[صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ٤، ج١٣ / ٢٧٤].

وقد نال نبينا ﷺ هذه المرتبة والمكانة، وأُمرنا بالاقتداء به؛ لما كان عليه من الصفات الجميلة، والأخلاق الفاضلة، وعبوديته الحقة لله رب العالمين، فلقد جاهد في سبيل الله، وقام الليل متضرعًا بين يدي ربه ومولاه، وتحمل سفاهة قومه وإيذاءهم له ممتثلاً أمر ربه له: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [المزمل: ١٠]، ثم أتبع صبره بالرحمة والعطف والدعاء لهم، فلم يكن ﷺ قاسي الفؤاد، أو فظًا غليظ القلب.

وقد نهج أصحابه المخلصون نهجه، وسلكوا سبيله، فكانوا قدوة حسنة لمن جاء بعدهم، ونشروا الإسلام بعلم وعدل، وفتحوا قلوب العباد قبل بلادهم بسموّ أخلاقهم وحسن سياستهم، وخوفهم من ربهم، وما أكثر الصفات الحسنة التي تحلَّوْا بها حتى سادوا الدنيا في زمانهم، واستحقوا قول أحدهم -وهو عبد الله بن مسعود- فيهم: «من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم». [شرح العقيدة الطحاوية ٢ / ٥٤٦].

وعلى المبلغين عن الله والدعاة إليه أن يكونوا على هذا الطريق، ويسلكوا نفس السبيل، وقد

﴿ إن الإسلام انتشر في القرون الفاضلة بسبب تمسك الدعاة إليه والحاملين له بدينهم، وبسائر الأخلاق الفاضلة، حتى ضربوا أروع الأمثلة في ذلك ﴾

وصف الله المبلغين عنه في كتابه، فقال: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، والآية تبين أنه لا بد من العمل والتطبيق مع الدعوة والعلم حتى تكون الخشية، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]، والفقيه من ورِعَ عن محارم الله، والعالم من خاف الله. [ورد من كلام الشعبي رحمه الله، أورده عنه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤ / ٣١١].

وقال الفضيل بن عياض: «أعلم الناس بالله أخوفهم له». [حلية الأولياء ٨ / ١١١].

ولهذا فإني أنصح نفسي وإخواني، وأذكّر جميع طلبة العلم والدعاة إلى ضرورة التحلي بالزهد والورع، والتواضع، وإيثار الآخرة على الأولى، والسمت الصالح، والاستزادة من النوافل المشروعة، وأعمال الخير والبر المتعددة، ومن ذلك تلاوة القرآن، وقيام الليل، والذكر والاستغفار، وغير ذلك من الفضائل، وهي أمور متأكدة في حق أهل العلم والفضل، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

وقد كان سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين- على درجات عالية في هذا المجال، وكانوا يتورعون حتى عن بعض المباحات، فقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- أن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- قال له يومًا -وقد سأله عن شيء من المباح-: «هذا ينافي المراتب العالية، وإن لم يكن تركه شرطًا في النجاة، أو نحو هذا من الكلام».[مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٢٧].

إن الإسلام انتشر في القرون الفاضلة بسبب تمسك هؤلاء الدعاة إليه والحاملين له بدينهم، وبسائر الأخلاق الفاضلة، حتى ضربوا أروع النماذج في دنيا الناس، وكانوا سببًا في نشر دين الإسلام ودخول الكثير فيه.

إن أصحاب البلاد المفتوحة نظروا بشيء من الدهشة إلى حَمَلة العقيدة الربانية، وصدقهم في دعوتهم، ورأوا فيهم نماذج خلابة للفضل والعدل، فأقبلوا على الدين، واستسلموا لرب العالمين.

إن صلاح المجتمع المسلم هو من أكبر البواعث على دخول الناس في دين الله أفواجًا، فيا أمة الإسلام ودعاة السنة، الزموا الجادة، وتعلموا أحوال الرسول ﷺ وسيرته، وأحوال الصحابة وأكابر العلماء، وزيِّنوا العلم بالعمل، فالقدوة الحسنة طريق صحيح لنشر الإسلام.

أسأل الله عز وجل يقظةً تفهِّمنا المقصود، وتعرفنا المعبود، وأعوذ بالله من سبيل رعاع يتسمون بالعلماء، لا ينهاهم ما يحملون، ويعلمون ولا يعملون، ويأخذون عرض الأدنى، وقد نُهوا عما يأخذون، وختامًا أعوذ بالله أن أذكِّر به وأنساه.

والحمد لله رب العالمين.

مكة المكرمة/ جمال سعد حاتم   إبراهيم رفعت

حوار التوحيد مع: وكيل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بالسعودية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن موسم الحج من أعظم المواسم المباركة التي تفضل الله بها على عباده لتذكيرهم بربهم، وتنبيههم من غفلتهم، والرجوع إلى دينه، والتمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وإقامة ذكره، وتعرُّف المسلمين على إخوانهم، والتعاون معهم على البر والتقوى، وفي ذلك جمعٌ لشمل المسلمين تحت راية واحدة، وتوحيد كلمتهم على الحق، وإظهار عزتهم ومنَعتهم، وإعلاء شأنهم.

وفي بقعة مطهرة غالية على نفس كل مسلم، يتشوق لزيارتها، وفي موسم مبارك هو موسم الحج، موسم الوفاء، ومن فضل الله على عباده أن هيَّأ لهم رجالاً يقومون على خدمة هذا البيت العتيق، وزوَّاره من أنحاء المعمورة؛ وقد كانت أنصار السنة المحمدية ضمن وفود خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله ورعاه-، وقد ظهرت الجهود المباركة لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وعلى رأسها معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، حفظه الله، وصاحب الجهود المباركة وكيل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الدكتور عبد الله اللحيدان، وفي مكتبه بمخيم استضافة ضيوف خادم الحرمين الشريفين، حيث كانت زيارتنا له، وحول جهود المملكة لخدمة ضيوف الرحمن وعلاقة المملكة بأنصار السنة على مرّ العصور منذ عهد جلالة الملك عبد العزيز، رحمه الله، وحتى الآن.

وقد سعدت مجلة التوحيد بلقائها مع فضيلته؛ حيث دار الحوار التالي:

أتشرف بمتابعة مجلة التوحيد شهريًا، وهي مجلة ملتزمة بالأصول الشرعية في الدعوة إلى الله، وفي الحوار مع الجماعات الأخرى

تسخير الجهود لخدمة ضيوف الرحمن

● **التوحيد:** فضيلة الدكتور عبد الله اللحيدان، بداية نتقدم إليكم بأرق وأسمى كلمات الشكر على ما تقوم به حكومة خادم الحرمين الشريفين في خدمة ضيوف الرحمن؛ لذا نرجو من فضيلتكم التكرم بإلقاء الضوء على جهود خادم الحرمين في خدمة الحرمين الشريفين، وخدمة ضيوف الرحمن.

□ الحمد لله رب العالمين، وبعد: فإن الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومنطقة المشاعر المقدسة (منى ومزدلفة وعرفات)، تحظى باهتمام كبير وبالغ، وعناية دائمة من لدن حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، حفظه الله؛ حيث سُخِّرت كافة الإمكانات المادية والبشرية لتطوير وتوسعة الحرمين المكي والنبوي بحيث يستوعبان أكبر عدد من المسلمين، الذين يتوافدون عليهما على مدار العام، من أجل التيسير عليهم عند أدائهم مناسك الحج والعمرة، وكذلك الزيارة.

وبجانب ذلك حرصت القيادة في المملكة على أن تكون منطقة المشاعر المقدسة في أوج تطورها؛ حتى تكون مكانًا سهلاً وميسرًا لضيوف الرحمن أثناء وجودهم فيها؛ وقد وصلت تكلفة تلك المشروعات التي نُفِّذت خلال السنوات القليلة الماضية إلى ما يزيد عن مائة مليار ريال سعودي؛ خدمة لضيوف الرحمن، وتيسيرًا عليهم.

الضوابط الشرعية تواكب جهود خادم الحرمين لراحة ضيوف الرحمن

إن الخدمات التي قدمها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله - للحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة تمتد لفترة طويلة، ومن أبرزها ما قام به عام ١٤١٧هـ عندما كلفه الملك فهد - رحمه الله - بعد حريق منى الكبير بدراسة هذه المشكلة التي تكررت عدة مرات، ووضع حلول نهائية لها.

والحقيقة أنه - حفظه الله - استدعى عددًا من المسئولين المعنيين، وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي وزير الشئون البلدية والقروية في ذلك الوقت الأمير متعب، وقال: لا بد أن يُوضع حل جذري ومتكامل لهذه المشكلة، وبالفعل تضافرت الجهود بقيادة خادم الحرمين الشريفين - ولي العهد آنذاك -، وحُلت المشكلة بشكل جذري ونهائي، وكان الملك عبد الله حريصًا أثناء طرح الحلول أن يكون ذلك وفق ضوابط الشريعة؛ حيث كان مهتمًا بالناحية الشرعية، وأن يكون الحل ضمن الضوابط الشرعية، كما هي عادة حُكام هذه البلاد حفظهم الله.

وبالتالي استقر الأمر والرأي على بناء الخيام، وعلى نفس شكلها -نزولاً على رأي علماء الشريعة- من مواد جديدة غير قابلة للحريق، ومثل هذه المواد كانت مكلفة جدًا، ولكن - الحمد لله - الدولة السعودية تتمتع بموارد مالية كبيرة، وبالفعل نُفذ المشروع - والحمد لله - خلال ثلاث سنوات، والآن استفاد الحجاج من هذا المشروع.

مجلة التوحيد تنشر العلم الشرعي القائم على الأصول الصحيحة من القرآن والسنة، وأنا أجدها من أفضل المجلات في العالم

وقد نُفِّذ مع هذه الخيام مشروع بنية تحتية متكامل من خيام، وأنفاق، ومياه، وصرف صحي بطريقة تتحمل ملايين البشر؛ بحيث لا يحصل أيّ تراكم أو مشاكل أخرى، أو ما إلى ذلك.

وتم وضع بنية تحتية قوية وصلبة جدًا؛ لأنه من الصعب أن تجد هذا الكمّ الهائل من البشر في مساحة كهذه في أي مكان من العالم، كما أنه من الصعب أيضًا أن يتم إنشاء هذه البنية التحتية في مكان آخر من العالم. فهي مدينة لا يسكنها أحد من البشر، ولكنها خلال ثلاثة أو أربعة أيام يسكنها ثلاثة ملايين، ومن الممكن أن تحدث مشاكل في المياه والصرف الصحي، والاتصال والكهرباء، ولكن - الحمد لله - المدينة مجهزة بكل الإمكانات، ولم تحصل أية مشاكل لاحقة.

ثم بعد أن تولى الملك عبد الله مقاليد الحكم - وفقه الله - كان من أول ما أمر به تظليل الساحات المحيطة بالمسجد النبوي، والمعروف أنه قد نُفذت أكبر توسعة للمسجد النبوي في أيام الملك فهد رحمه الله، وهي تعادل أضعاف المسجد الأصلي، وأيضًا هُدمت كل الأحياء القديمة، وقامت عليها عمارات حديثة، وإن شاء الله الحرم المكي سيصير كذلك من خلال توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله.

وكذلك من أهم المشاريع التي قام بها: توسعة المسعى، وهو بناء جديد، وهدم الساحات الشمالية؛ ليكون هناك متسع، وتكون هناك عمائر أفضل لحجاج بيت الله الحرام، وخلال السنوات القادمة ستشهد المنطقة المركزية للحرم نقلة كبيرة جدًا بإذن الله.

والحقيقة أن الملك عبد الله - حفظه الله - حريص جدًا على خدمة الحرمين الشريفين، وخدمة الحجاج، وليس هذا بمستغرب على حُكام المملكة العربية السعودية منذ عهد الملك عبد العزيز رحمه الله ، وهم الذين سخروا كل قدرات هذه الدولة لخدمة الإسلام والمسلمين.

يستوعب الحرم المكي أكثر من خمسة ملايين زائر في اليوم الواحد

● **التوحيد:** فضيلة الشيخ: المشاريع في الحرمين الشريفين وفي المشاعر المقدسة لا تتوقف، فبعد توسعة المسعى سمعنا عن توسعة المطاف ومشاريع أخرى، كيف ترون ذلك؟

□ لا شك أنه من الضروري أن يتم دراسة هذه المشاريع النافعة، إذ إنه بعد إقامة جسر الجمرات الجديد أصبحت الجموع تُنهي الرمي بشكل سريع، فبالتالي سيكون هناك ضغط على منطقة الحرم، وكان الأسلوب القديم يتسبب في نوع من التفويج الإجباري للحجاج؛ بحيث لا يتوافدون على الحرم إلا على دفعات، لكن خلال سنوات قليلة سينتهي مشروع القطار الذي ينقل الحجاج بسرعة كبيرة من عرفات إلى منى، ومن ثَم سينقل الحجاج بسرعة إلى الحرم، الذي لا بد أن يستوعب أكثر من خمسة ملايين شخص خلال اليوم الواحد، وهذا يعني أننا لا بد أن نزيد القدرة الاستيعابية في الحرم خلال الساعة الواحدة، والحمد لله في هذه البلاد كوادر هندسية، وقيادات إدارية انتبهت منذ البداية لعملية التعليم، كما يوجد شباب مؤمن -في ظل هذه القيادة الحكيمة- يستطيع أن يحقق هذه

تحرص حكومة خادم الحرمين الشريفين على أن تكون الجهود المبذولة لراحة ضيوف الرحمن وفق الضوابط الشرعية في كل المناحي

الأمور، وهذه الطموحات، والمملكة العربية السعودية لن تنفذ مشاريع إلا وفيها مصلحة ظاهرة للمسلمين؛ تسهِّل حجهم وأداء نسكهم، وفي نفس الوقت تكون متوافقة مع الشريعة، وهذا هو الشأن في كل المشاريع التي تمت في الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة.

حكومة المملكة مجندة لخدمة ضيوف الرحمن

● **التوحيد**: أرجو أن تحدثنا عن توصيات الملك عبد الله بن عبد العزيز للعاملين في خدمة الحجاج، وأنتم تترأسون برنامج ضيوف خادم الحرمين الشريفين.

□ بالنسبة للبرنامج فهو يشكل مؤتمرًا مصغرًا للحج؛ لأنه يضم مندوبين من كل بلاد العالم الإسلامي ودول الأقليات؛ فكأنه عينة انتقائية، فإذا كانت منطقة منى تجمع الحجاج من كل أقطار الأرض؛ فإن برنامج خادم الحرمين الشريفين يجمع مندوبين أو نخبة منهم بشكل مصغر؛ لكي يلتقوا في مساحة صغيرة جدًا، وهذا البرنامج مهم جدًا، ودائمًا الملك عبد الله يوجِّه أن تكون البرامج والخدمات التي تقدمها الدولة على أعلى وأفضل المستويات، ولا يقبل - حفظه الله - الخطأ أو التقصير في مثل هذه الأمور، وهو - حفظه الله - يتابع هذه الأمور، ولا يكتفي بالتقارير الصحفية، أو ما إلى ذلك، بل يريد معرفة الأمور على أرض الواقع، وحرصه هذا انعكس على جميع المسئولين في الدولة من نوابه ووزرائه ووكلاء هذه الوزارات، فكلهم جند مجندون في خدمة الإسلام والمسلمين بشكل عام.

علاقات أنصار السنة المتميزة مع المملكة

● **التوحيد**: العلاقات المتميزة بين جماعة أنصار السنة المحمدية وبين القيادة في المملكة العربية السعودية، وهي علاقات دعوية بحتة، هل تلمسون في الفترة الأخيرة تغيُّرًا في هذه العلاقة إلى الأفضل؟

□ المملكة العربية السعودية دولة إسلامية، وأعلنت أنها تطبِّق الشريعة، وتدعو إلى الله، والمملكة العربية السعودية تتعاون مع الجمعيات الإسلامية التي تدعو إلى الله على مستوى العالم، وتربطها بها علاقات ودّ؛ لأن المملكة تعتبر أن تلك المؤسسات والهيئات تنفِّذ أهدافًا وواجبات مشتركة وهي الدعوة إلى الله. ولذلك فإن المملكة العربية السعودية تدعم جميع الجمعيات والاتحادات الإسلامية في العالم.

وعندما تكون هناك جماعات تتصف بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والالتزام بها، فإن المملكة تدعمها في كل بقاع الأرض. ما عدا الجماعات التي تسيء إلى أوطانها من خلال اللجوء إلى العنف، والمملكة تريد أن تكون الجماعات الإسلامية عناصر بناءة للخير في مجتمعاتهم وتسعى وتعمل في ميادين الحق والسلام، والعمل لأهداف البناء وليس للإرهاب والعنف.

اختيار ضيوف خادم الحرمين

● **التوحيد**: كيف يتم اختيار الشخصيات القادمة للحج على نفقة الملك عبد الله، والتي أُعلن أنها ألف وثلاثمائة حاج؟

الحمد لله رب العالمين، هذا البرنامج منظم بأوامر توضح كيفية اختيار الشخصيات التي تأتي للبرنامج، وهناك ثلاث فئات يشملها البرنامج، هي أولاً: الشخصيات الإسلامية المؤثرة والمعتدلة من كل بلاد العالم، والمسلمون الجدد، وكذلك طلبة العلم الشرعي في بلاد

خلال سنوات قليلة سينتهي مشروع القطار الذي ينقل الحجاج بسرعة كبيرة من عرفات إلى منى، ثم إلى الحرم المكي، بحيث يستوعب خمسة ملايين شخص في اليوم الواحد

الأقليات؛ لقناعة المملكة بأنه لا يثبِّت الأقليات في الدول غير الإسلامية إلا العلم الشرعي عندما ينتشر بشكل صحيح، ويحافظ على الأقليات في الدول غير الإسلامية، ويحفظها من الذوبان وفقدان هويتها الإسلامية.

● **التوحيد:** هل هناك خطط للوزارة أو برامج لتطوير هذه الأعمال حتى تصبح فعلاً نواة لنخبة تمثل العالم الإسلامي؟

□ نحن في كل سنة بعد نهاية كل برنامج ندرس السلبيات التي وقعت، ونحاول أن نتلافاها، ونتلقى اقتراحات لتطوير البرنامج، ونعمل على تطوير البرنامج في كل عام أو دمج برامج قديمة ببعض، هذا من الناحية العلمية والفقهية والشرعية، وأيضًا هناك ناحية الخدمات التي تشمل السكن والنقل الجوي، وما إلى ذلك من الأمور التي تستغرق جزءًا من البرنامج.

المساحة الثقافية في برنامج خادم الحرمين الشريفين

● **التوحيد:** ما هي المساحة المتاحة للبرامج الثقافية في البرنامج؟

الحمد لله رب العالمين هناك برنامج نسميه البرنامج العلمي؛ حيث يقوم دعاة الوزارة الموجودون في البرنامج بتنظيم دروس القرآن الكريم والتفسير والعقيدة، وكذلك هناك برامج ثقافية تتضمن مسابقات وجوائز توزع على المتسابقين والمشاركين، وهناك برامج فكرية؛ فقد عُقدت ندوة بعنوان «دور أوروبا الشرقية في نهضة المسلمين» شارك فيها عدد من أبناء أوروبا الشرقية، بالإضافة إلى عدد من الأكاديميين من أبناء المملكة العربية السعودية.

مجلة التوحيد من أفضل المجلات في العالم

● **التوحيد:** فضيلة الشيخ، أنتم من المتابعين لمجلة التوحيد، هل من كلمة توجهونها للقائمين على هذه المجلة؟

مجلة التوحيد أنا تشرفت بأن أهدوني الأعداد القديمة كلها في مجلدات، ويصلني العدد الشهري منها في كل شهر، وأنا أتابع هذه المجلة، وهي مجلة ملتزمة بالأصول الشرعية في الدعوة إلى الله، وفي الحوار مع الجماعات الأخرى، وتسعى لنشر العلم الشرعي القائم على الأصول الصحيحة من القرآن والسنة، وأنا أجدها مجلة من أفضل المجلات، وأتمنى لهم دائمًا التوفيق والسداد.

● **التوحيد:** مع الجهود الملموسة والمباركة التي تبذلها وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والأوقاف، فهل للوزارة أن تتبنى الدعوة للمؤتمرات ومساندة الإعلام الإسلامي المقروء، وخاصة المجلات الإسلامية، وعقد مؤتمرات لتوحيد هذه المطبوعات، وتوجيهها للاهتمام بقضايا العالم الإسلامي؟

□ هناك مؤسسات قائمة ومهتمة بهذا الشأن، وهناك جهات معنية تضطلع بهذا الدور، لعل آخرها الهيئة العالمية للإعلام التابعة لرابطة العالم الإسلامي، وإن كانت لا تزال في طور التأسيس، لكن نأمل منها الكثير.. إذًا هناك تعاون بين المؤسسات الإعلامية الرسمية في العالم الإسلامي، من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي، ولكن بالفعل نحن نحتاج إلى لقاءات تخصصية، وبالذات مع القطاع الخاص والجمعيات الأهلية التي ترعى وسائل الإعلام، حتى تكون هناك جهة مسئولة عن متابعة تنفيذ القرارات عقب كل مؤتمر.



سورة يس

الحلقة الثانية

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

قال الله تبارك وتعالى: ˚ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ

قال الله تعالى: ˚ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ˝ إحياء الموتى سيتكلم الله تعالى عن دلائله في هذه السورة، ومنه ما جاء في الختام: ˚ أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ˝ [يس: ٧٧-٨١].

˚ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ˝، يكتبه الكرام الكاتبون، كما قال سبحانه: ˚ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ˝ [الانفطار: ١٠-١٢]، وقال تعالى: ˚ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ˝ [ق: ١٦-١٨]، وقال جل وعلا: ˚ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ. أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ˝ [الزخرف: ٧٩-٨٠]، وقال تعالى: ˚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ. وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ˝ [القمر: ٥٢-٥٣].

˚ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ˝ أي ونكتب آثارهم، والآثار قسمان: آثار معنوية، وآثار حسيَّة. أما الآثار المعنوية: فهي ما يتركه الإنسان بعده من أثر في الناس، حسَنًا كان أو سيئًا، وغالب الناس يؤثرون في الناس، فيتركون وراءهم آثارًا، فإما أن تكون آثار خير، وإما أن تكون آثار شر، إما أن تكون آثار طاعة، وإما أن تكون آثار معصية.

فهذا عالم يموت ويخلِّف وراءه ميراثًا هائلاً من الأشرطة في التفسير، والحديث، والخطب، والمواعظ، ويترك وراءه كتبًا مؤلَّفة. وذاك مُغَنٍّ مطرب يموت ويترك وراءه أيضًا آلافًا مؤلفة من أشرطة الأغاني والفسق، والدعوة إلى الفجور والعصيان، هذه آثار.. وهذه آثار.

وآخر يقضي عمره في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وتبصير الناس بدينهم، وتحبيب الله جل وعلا إلى عباده. وواحد يقضي عمره في الصد عن سبيل الله، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.. كل هذه الآثار تُكتب.

فقد قال رسول الله £ : «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً

حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَملَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».[مسلم ١٠١٧].

وقال £ : «مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوْلِ كِفْلٌ مِنْ دِمِهَا؛ لأَنَّهُ أَوْلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ». [البخاري ٣٣٣٥، ومسلم ١٦٧٧].

وأما الآثار الحسية فهي الخُطى، خطى المشي، خطواتك التي تمشيها إلى أيّ مكان، تُكتب وأنت تمشي، فانظر إلى أين تمشي؟!

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: خَلَت الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِد، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِد، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله £ ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِد»، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله! قَدْ أَرَدْنَا ذَلِك، فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ». فقالوا: ما يسرنا أنَّا كنا تحولنا. [مسلم ٦٦٥].

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ لاَ أَعْلَمُ رَجُلاً أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِد مِنْهُ، وَكَانَ لاَ تُخْطِئُهُ صَلاَةٌ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ، أَوْ قُلْتُ لَهُ: لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ! قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِد، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِد وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ الله £ : «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ». [مسلم: ٦٦٣].

فخطوات الإنسان مكتوبة، وكتابتها تدل على أن الله تعالى لا يُهمِل من عمل عباده شيئًا، كما قال قتادة: «اتق الله يا عبد الله. فلو كان الله مهملاً شأنًا من شئونك لأهمل آثارك» [جامع البيان: ٢٢ / ١٥٥].

ولذلك لما صرح الله تعالى بكتابة الآثار قال: ˚ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ˝ ، أي في كتاب بيِّن واضح، فالإمام هو الكتاب، كما قال تعالى: ˚ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ˝ [الإسراء: ٧١]، فأعمال العباد محفوظة في كتاب، لا يضيع منها مثقال ذرة، كما قال سبحانه وتعالى: ˚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ. وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ˝ [القمر: ٥٢-٥٣]، وقال تبارك وتعالى: ˚ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ˝ [الكهف: ٤٩].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله £ : «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَة، فَيَنْشُرُ عليه تسْعَةً وتسعين سجلاً، كُلُّ سجلٍّ مثل مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أتنكر مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ يَقُولُ: لا يا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ يَقُولُ: لاَ يا رَبِّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَفلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يا رب، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضُرْ وزنك، فيقول: يَا رَبِّ مَا هَذِه الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِه السِّجِلاَّت؟ فقال: فإِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَت السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَت الْبِطَاقَةُ، ولا يثقل مع اسم الله شيء». [الترمذي ٢٦٣٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣٥].

وفي هذا المعنى يقولُ الشاعرُ الحكيم:

مَثِّلْ وقُوفَكَ يَوْمَ الْعَرْضِ عُرْيَانَا
مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الأحشاء حَيْرَانًا
والنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ
عَلَى الْعُصَاةِ وربُّ الْعَرْشِ غَضْبَانًا
اقْرَأ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهْلٍ
فَهَلْ تَرَى فيه حَرْفًا غَيْرَ مَا كَانَا
لَمَّا قرأتَ ولَمْ تُنْكِرْ قِرَاءَتَهُ
وأقررت إِقْرَارَ مَنْ عرَفَ الأشياءَ عِرْفَانًا
نادى الجليلُ: خذوه يَا ملائكتي
وامضوا بعبد عصى للنار عطشانًا
المشركون غدًا في النَّارِ يلتهبوا
والمؤمنون بدارِ الخُلدِ سكْانًا

[التذكرة للقرطبي (ص ٢٥٦]).

لما أقسم الله تعالى في مطلع السورة لنبيه £ ˚ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ˝ ، ثم بين موقف قومه منه، وإصرارهم على التكذيب به، ˚ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ˝ ؛ أمر الله تعالى رسوله £ (أن يضرب لقومه المكذبين به مثلاً بأصحاب القرية الذين كذَّبوا المرسلين، وكيف

أهلكهم الله سبحانه وتعالى، ونجّى المرسلين ومن اتبعهم من المؤمنين؛ ليعلم النبي ﷺ أن العاقبة ستكون له كما كانت للنَّبيين من قبله، وليعلم قومه الذين كذبوه أن الله تعالى لن يتركهم سدًى، ولا بدَّ أن يثأر لنبيه ﷺ بإهلاكهم بسبب تكذيبهم.

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ ما هي هذه القرية؟ لا يعنينا تعيينُها. فالقرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، ولا كتاب سرد وقائع وأحداث، وإنما القرآن كتاب العِبَر والدروس المستفادة، فحين يقصّ علينا من نبأ المرسلين، ومن نبأ السابقين؛ يقصّ علينا ما فيه العبرة والعظة، ويسكت عما سوى ذلك، فلا يُعْنَى القرآن بتعيين الأماكن، ولا بتعيين الأشخاص، ولا بتعيين الزمان والمكان الذي وقع فيه الحدث، وإنما القرآن يُعنَى بالموضع الذي تؤخذ منه العبرة من هذه القصة، وبالحدث الذي تُستفاد منه الدروس.

ولذلك لما قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾، قال له: ﴿ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣]، أي لا أحكي القصة كاملة، ولكن سأنبئكم بمواضع العبرة والعظة في حياة هذا الملك الصالح ذي القرنين.

وهنا قال سبحانه: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ واسم القرية لا يعنينا، فلو كان فيه فائدة ما سكت الله عنه. لكن كان من شأن هذه القرية أن الله تعالى أرسل إليهم رسولين، كما أرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وملئه، فكذلك الله تبارك وتعالى أرسل إلى هذه القرية رسولين من رسله عليهم الصلاة والسلام.

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ فكذَّب أصحاب القرية الرسولين اللذين جاءاهم من عند الله سبحانه، ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ أي فشددنا أزرهما وقويناهما بثالث، كما قال تعالى لموسى ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص: ٣٥]، ﴿ فَقَالُوا ﴾ يعني هؤلاء الرسل الثلاثة لأقوامهم: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ بعثنا الله تعالى إليكم؛ لنخرجكم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الضلالة إلى نور الهدى، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم.

فأنكر عليهم أصحاب القرية أن يكون الله تبارك وتعالى أرسلهم وهم بشر مثلهم لا فرق بينهم وبين المرسلين. ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ فكيف اصطفاكم الله تبارك وتعالى علينا ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ تأكلون كما نأكل، وتشربون كما نشرب، وتمشون في الأسواق فكيف اصطفاكم الله علينا واجتباكم؟ ما المزية التي تميزتم بها حتى يبعثكم الله تعالى إلينا، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

وهذه هي الشبهة التي عرضت للمشركين في كل زمان ومكان، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ٩٤].

﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ فأي مزية لكم علينا، وأي فضل لكم علينا؟ حتى يختصكم الله بالرسالة. نحن لا نؤمن بأنكم رسل الله، وما أنزل الله من شيء، وما بعث الله من رسول، وما أنتم في الحقيقة إلا كَذَبة تكذبون على الله، تزعمون أن الله أرسلكم والله ما أرسلكم.

فاستشهد الرسل بعلم الله سبحانه، فقالا: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾، كما أمر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ أن يستشهد بالله فقال: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٤٣]، والله تعالى ما كان ليذر أحدًا يكذب عليه يزعم أن الله أرسله والله لم يرسله، ما ترك الله أحدًا كذب عليه وادعى الرسالة أبدًا إلا وانتقم منه، فالرسل يقولون: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ولو كنا نكذب على الله لانتقم منا. كما قال في حقِّ محمد ﷺ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]، فلمَّا لم يفعل بخليله شيئًا من هذا الوعيد دلَّ على أنه لم يتقوَّل.

قالوا: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾ وقد أديناه، الله يشهد أننا ما افترينا عليه كذبًا، ولا تقوّلنا عليه شيئًا، الله يعلم ذلك علم اليقين ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾، وقد حملنا الرسالة وقد بلغناها ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾.

وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وإلى لقاء في الحلقة القادمة بمشيئة الله تعالى.



التقوى
زادك إلى الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

لا يزال حديثنا موصولاً عن الجنة، والطريق الموصلة إليها، والذي لا شك فيه أن أكثر ما يُدخل الناس الجنة بعد الإيمان هو تقوى الله عز وجل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» [أخرجه الترمذي، وصححه الألباني].

وآي القرآن الكريم وشواهده كثيرة في هذا الصدد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٦].

وقال جل وعلا: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان: ٥١].

وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الذاريات: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ. فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور: ١٧-٢٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [محمد: ١٥].

وعن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». [أبو داود والترمذي - وحسنه الألباني].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلانِيَتِهِ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، وَلا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا، وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ، وَلا تَقْبِضْ أَمَانَةً، وَلا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ». [صحيح الترغيب للألباني ٣١٦١].

ويدخل في هذا المعنى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» [أخرجه الترمذي وحسنه الألباني].

التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه؛ فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه.

وتارة تُضاف التقوى إلى اسم الله عز وجل كقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[البقرة: ١٨٩]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]؛ فإذا أُضيفت التقوى إليه سبحانه؛ فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه، وهو أعظم ما يُتقى، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي، قال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر: ٥٦].

فهو سبحانه أهلٌ لئن يُخشى ويُهاب، ويُجَلّ ويُعظَّم، في صدور عباده؛ حتى يعبدوه ويطيعوه؛ لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة، وقوة البطش، وشدة البأس.

وتارة تُضاف التقوى إلى عقاب الله، وإلى مكانه كالنار، أو إلى زمانه كيوم القيامة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [البقرة: ١٢٣].

ويدخل في التقوى الكاملة: فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات، وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١-٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «المتقون هم الذين يحذرون من الله عقوبته، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به».

وقال الحسن: «المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم، وأدوا ما افترض الله عليهم».

وقال عمر بن عبدالعزيز: «ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله تركُ ما حرَّم الله، وأداء ما افترض الله؛ فمن رُزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلى خير».

وقال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله تخاف عقاب الله».

وقال الحسن: «ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الحرام».

وقال ميمون بن مهران: «المتقي أشد محاسبةً لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه».

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: «أن يُطاع فلا يُعصَى، وأن يُذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يُكفر».

وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات، ومعنى ذكره فلا ينسى: ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته؛ فيمتثلها، ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها.

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات، كما قال أبو هريرة وقد سُئل عن التقوى؛ فقال لسائله: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه، أو جاوزته أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى.

وأصل التقوى أن يعلم العبد ما يتقي، ثم يتقي، قال بعض السلف: «إذا كنت لا تحسن تتقي: أكلت

الربا، وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة ولم تغض بصرك».

وفي الجملة؛ فالتقوى هي وصية الله لجميع خلقه، ووصية رسول الله ﷺ لأمته، فعن بُرَيْدَةَ بن الحصيب رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا». [صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٥٨].

ولما وعظ النبي ﷺ الناس، حتى قالوا له: كأنها موعظة مودع؛ فأوصاهم بتقوى الله؛ فعنِ الْعِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ..». [أخرجه أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في خطبه: «أما بعد؛ فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته؛ فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته، وأول ما قال له: «اتق الله يا عمر».

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبدالله رضي الله عنهما: «أما بعد؛ فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل؛ فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نُصب عينيك وجلاء قلبك».

واستعمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً على سرية؛ فقال له: «أوصيك بتقوى الله عز وجل، الذي لا بُد لك من لقاه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة».

وكتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إلى رجل: «أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها؛ فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياك من المتقين».

ولما ولي خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل؛ فإن تقوى الله عز وجل خَلَف من كل شيء، وليس من تقوى الله خَلَف».

وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني. فقال: «أوصيك بتقوى الله والإحسان؛ فإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ».

وقيل لرجل من التابعين عند موته: أوصنا. فقال: «أوصيكم بخاتمة سورة النحل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وكتب رجل من السلف إلى أخٍ له: «أوصيك بتقوى الله؛ فإنها من أكرم ما أسررتَ، وأزين ما أظهرتَ، وأفضل ما ادخرتَ؛ أعاننا الله وإياك عليها، وأوجب لنا ولك ثوابها».

وكتب رجل منهم إلى أخٍ له: «أوصيك ونفسي بالتقوى؛ فإنها خير زاد الآخرة والأولى، واجعلها إلى كل خير سبيلك، ومن كل شر مهربك؛ فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون، والرزق من حيث لا يحتسبون».

وقال شعبة: «كنت إذا أردت الخروج قلت للحكم: ألك حاجةٌ؟ فقال: أوصيك بما أوصى به النبي ﷺ معاذ بن جبل: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى». [مسلم ٧٠٧٩].

وكان وهب بن الورد يقول: «خفِ الله على قدر قدرته عليك، واستحِ منه على قدر قربه منك».

وقال له رجل: عظني. فقال له: «اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك».

وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

رزقنا الله وإياكم حسن التقوى، ووفقنا لما يحب ويرضى.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وإلى لقاء في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.. وبعد:

فهذا هو المقال الأخير في ما يتعلق بحديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة، وهو من الأمور العقدية التي وردت في هذا الحديث، وذلك في قول النبي £ : «فإذا رأيتُ ربي وَقَعتُ له ساجدًا».

قال الإمام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه «باب قول الله تعالى: ° وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ˝.»، وساق تحت هذا الباب أحد عشر حديثًا عن جرير بن عبد الله، وأبي هريرة حديثين، وأبي سعيد، وعن أنس حديثين، وابن عباس، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري، وابن مسعود، وأبي بكرة.

وقال الآجري في كتاب «الشريعة»: «كتاب التصديق بالنظر إلى وجه الله عز وجل».

أما بعد: فإن الله جل ذكره وتقدست أسماؤه خلق خلقه كما أراد، فجعلهم شقيًا وسعيدًا.

فأما أهل الشقوة فكفروا بالله العظيم، وعبدوا غيره، وعصوا رسله، وجحدوا كتبه، فأماتهم على ذلك، فهم في قبورهم يُعَذَّبون، وفي القيامة عن النظر إلى الله تعالى محجوبون، وإلى جهنم واردون، وفي أنواع العذاب يتقلبون، وللشياطين مقاربون، وهم فيها أبدًا خالدون.

وأما أهل السعادة، فهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فآمنوا بالله وحده، ولم يشركوا به شيئًا، وصدَّقوا القولَ بالفعل، فأماتهم على ذلك، فهم في قبورهم ينعَّمون، وعند المحشر يبشَّرون، وفي الموقف إلى الله تعالى بأعينهم ينظرون، وإلى الجنة بعد ذلك وافدون، وفي نعيمها يتفكهون، وللحور العين معانقون، والولدان لهم يخدمون، وفي جوار مولاهم الكريم أبدًا خالدون، ولربهم تعالى في داره زائرون، وبالنظر إلى وجهه الكريم يتلذذون، وله مكلمون، وبالتحية لهم من الله تعالى والسلام منه عليهم يكرمون، ° ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ˝.

فإن اعترض جاهل ممن لا علم معه، أو بعض هؤلاء الجهمية الذين لم يُوفَّقُوا للرشاد، ولعب بهم الشيطان، فقال: المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة؟ قيل له: نعم، والحمد لله على ذلك. فإن قال الجهمي: أنا لا أؤمن بذلك. قيل له: كفرت بالله العظيم. فإن قال: وما الحجة؟ قيل: لأنك رددت القرآن والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم، وقول علماء المسلمين، واتبعت غير سبيل المؤمنين، وكنت ممن قال الله تعالى فيهم: ° وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ˝ [النساء: ١١٥].

فأما نص القرآن فقول الله تعالى: ° وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ˝، وقد أخبرنا الله تعالى عن الكفار أنهم محجوبون عن رؤيته، فقال تعالى ذكره: ° كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ. ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ˝ [المطففين: ١٥ - ١٧]، فدل بهذه الآية أن المؤمنين ينظرون إلى الله، وأنهم غير محجوبين عن رؤيته، كرامةً منه لهم.

وقال تعالى: ° لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ˝، فروي أن «الزيادة» هي النظر إلى وجه الله تعالى، وقال تعالى: ° وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا. تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ˝.

واعلم -رحمك الله- أن اللقي هاهنا -عند أهل العلم باللغة- لا يكون إلا معاينة، يراهم الله تعالى ويرونه، ويسلم عليهم ويكلمهم ويكلمونه.

قال: وقد قال الله تعالى لنبيه £ : ° وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ˝.

وكان مما بيَّنه £ لأمته في هذه الآيات: أنه

أعلمهم في غير حديث: «إنكم ترون ربكم تعالى» رواها عنه جماعة من أصحابه رضي الله عنهم، وقَبِلَها العلماء أحسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة، والزكاة والصيام، والحج والجهاد، وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا منهم الأخبار: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، لا يشكون في ذلك، ثم قالوا: من رد هذه الأخبار فقد كفر.

ثم ساق مجموعة من الآثار بأسانيدها قبل أن يسوق الأحاديث المسندة إلى الرسول £ ، فمن هذه الآثار:

١- عن الحسن قال: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم تعالى لذابت نفوسهم في الدنيا.

٢- عن الحسن أيضًا قال: إن الله تعالى ليتجلى إلى أهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة.

٣- عن مالك رحمه الله: الناس ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة بأعينهم.

٤- عن سفيان بن عيينة وقد قيل له: هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية؟ فقال: حق على ما سمعناها ممن نثق به.

٥- عن أحمد بن حنبل -وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله تعالى لا يُرى في الآخرة- فغضب غضبًا شديدًا، ثم قال: من قال بأن الله تعالى لا يُرى في الآخرة فقد كفر؛ عليه لعنة الله وغضبه، أليس الله عز وجل يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى.

٦- عن أبي عبيد القاسم بن سلام -وذكرت عنده هذه الأحاديث في الرؤية- فقال: هذه عندنا حق نقلها الناس بعضهم عن بعض.

ثم قال الآجري - رحمه الله -: فمن رغب عما كان عليه هؤلاء الأئمة الذين لا يُستوحش من ذكرهم، وخالف الكتاب والسنة، ورضي بقول جهم وبشر المريسي وأشباههما فهو كافر.

ثم ساق الآجري تفسير بعض الآيات التي ذكرها مما ورد عن السلف في تفسيرها؛ فقال:

١- عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. قال: نَضَّرَ الله تلك الوجوه وحَسَّنَها للنظر إليه.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ يعني حَسَّنَها، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. قال: نظرت إلى الله تعالى.

٣- عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾. قال: النضرة: الحُسْن: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. قال: نظرت إلى ربها عز وجل فَنَضِرَتْ لنوره.

٤- عن عكرمة في قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾، قال: من النعيم: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها عز وجل نظرًا.

٥- عن عكرمة قال: قيل لابن عباس رضي الله عنهما: كل من دخل الجنة يرى الله تعالى؟ قال: نعم.

٦- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾. قال: النظر إلى وجه الله تعالى، وعن حذيفة مثله.

ثم ساق الآجري الأحاديث في ذلك من رواية كل صحابي على حدته منها:

١- حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله £ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم ستعرضون على ربكم عز وجل فترونه كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا». [متفق عليه].

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا عز وجل يوم القيامة؟ فقال النبي £ : «نعم، هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترون ربكم عز وجل يوم القيامة كذلك». [متفق عليه].

٣- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، أنرى ربنا عز وجل؟ فقال رسول الله £ : «هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان يوم صحو؟» قلنا: لا، قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر -أو قال-: صحو؟» قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم عز وجل يومئذ، إلا كما تضارون في رؤيتهما». [متفق عليه].

٤- حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نودوا: أن يا أهل الجنة، إن لكم عند الله عز وجل موعدًا لم تروه، قالوا: وما هو؟ ألم تبيضْ وجوهنا؟ وتزحزحنا عن النار؟ وتدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب وينظرون إليه تبارك وتعالى، فوالله ما أعطاهم الله عز وجل شيئًا أحب إليهم منه، ثم تلا رسول الله £ : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [رواه مسلم].

٥- حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه تعالى، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حاجب يحجبه...». الحديث [متفق عليه].

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – في كتابه «حادي الأرواح» في باب «رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى» قال: هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدرًا وأعلاها خطرًا، وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والفرقة، وهي الغاية التي شمرَّ إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون. أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين، وأعداء الرسول وحزبه المؤمنين.

وقد أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق في زمانه، وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه، فقال له تبارك وتعالى: ﴿ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يُظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل، وأعظم المحال.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً لأنكره عليه، كما أنكر على نوح عليه السلام سؤاله عند ما سأل ربه نجاة ابنه، فقال: ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾. ولم يقل: إني لا أُرى، ولا إني لست بِمَرْئِيٍّ، أو لا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل على أنه سبحانه يُرى، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى.

الوجه الرابع: في قوله تعالى لموسى: ﴿ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه سبحانه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خُلق من ضعف؟

الوجه الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته.

الوجه السادس: قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾، وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع عليه أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه سبحانه وتعالى ؟!

الوجه السابع: أن الله تعالى كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يُسْمِعَ مخاطَبَهُ كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين؛ فأنكروا أن يكلم أحدًا أو يراه أحد، ولهذا فإن موسى سأل ربه النظر إليه لما أسمعه كلامه، وعلم من الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله في الدنيا.

قال ابن القيم: الدليل الثاني قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ ﴾، قال: وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نُسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية.

ثم قال: الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٥، ٢٦].

فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن، وكذا الصحابة من بعده، كما في حديث صهيب رضي الله عنه عند مسلم. [مسلم ١٨١].

ثم قال: الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]. قال: ووجه الاستدلال بهذه الآية أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون ولو لم يسمعوا كلامه كانوا محجوبين عنه أيضًا.

وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه، وغيره من الأئمة، فذكر الطبري وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في هذه الآية: فيها دلالة على

أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

وروى الحاكم عن الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا. قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله، وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدين، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل.

ثم قال ابن القيم: الدليل السادس: قوله عز وجل: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قال: والاستدلال بهذا أعجب؛ فإنه من أدلة النفاة، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطل إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله: فمنها هذه الآية، وهي على جواز الرؤية أولى منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يُمدَح به، وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمرًا وجوديًا كمدحه بنفي السِّنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة.

وعدَّ منفيات تتضمن كمال ضدها، إلى أن قال: ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يُوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أنه لا يُرَى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال.

فالرب تبارك وتعالى يُرَى ولا يُدرَك، كما يُعْلَمُ ولا يُحاط به، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية. [انتهى بتصرف من حادي الأرواح لابن القيم من ص٣٤١، ط دار ابن رجب، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م].

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة. وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنتسبون إلى السنة والجماعة.

وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلّها، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحُرِمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون.

وقد ذكر الشيخ - الطحاوي - رحمه الله، من الأدلة قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾. وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً؛ فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك السبيل.

وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية؟! فهل قُتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد؟! وكذا ما جرى في يوم الجمل وصفين، ومقتل الحسين، والحَرَّة؟! وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد؟!

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بـ «إلى» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

فإن النظر له عدة استعمالات؛ بحسب صلاته وتعديه بنفسه؛ فإن عُدِّي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار: ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]، وإن عُدي بـ «في» فمعناه التفكر والاعتبار: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، وإن عُدي بـ «إلى» فمعناه المعاينة بالأبصار: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]. فكيف إذا أُضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟ اهـ.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع - الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة- أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، فمن بعدهم من سلف الأمة، على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيًّا عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢٢٣٨- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: " نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْكَيِّ، فَاكْتَوَيْنَا فَمَا أَفْلَحْنَ وَلاَ أَنْجَحْنَ"، د [٣٨٦٥]، وت[٢٠٤٩]، وقال: وَكَانَ يَسْمَعُ تَسْلِيمَ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا اكْتَوَى انْقَطَعَ عَنْهُ، فَلَمَّا تَرَكَ رَجَعَ إِلَيْهِ. اهـ. وهذا الحديث على شرط مسلم.

٢٢٣٩- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ مَصْبُورَةٍ كَاذِبًا، فَلْيَتَبَوَّأْ بِوَجْهِهِ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " د [٣٢٤٢] وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٢٤٠- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلاَثُونَ» " د[٥١٩٥] وهذا حديث حسن على شرط مسلم، أخرجه ت [٢٦٨٩].

٢٢٤١- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ " د[٤٩١٩]. وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه ت [٢٥٠٩].

٢٢٤٢- عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ وَجَدَ لُقَطَةً فَلْيُشْهِدْ ذَا عَدْلٍ أَوْ ذَوَيْ عَدْلٍ وَلاَ يَكْتُمْ وَلاَ يُغَيِّبْ، فَإِنْ وَجَدَ صَاحِبَهَا فَلْيَرُدَّهَا عَلَيْهِ وَإِلاَّ فَهُوَ مَالُ اللَّهِ. يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ " د[١٧٠٩]، ت[١٢٠٨]، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين وأخرجه جه [٢٥٠٥].

٢٢٤٣- عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ رضي الله عنه، قَالَ: " كُنَّا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُسَمَّى السَّمَاسِرَةَ، فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّغْوُ، وَالْحَلِفُ، فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ " د [٣٣٢٦] وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٤٤- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ عن أبيه أن رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ قال: " إِنْ فَتَحْتُمْ مِصْرًا فَاسْتَوْصُوهُمْ بِالْقِبْطِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا " الطحاوي في مشكل الآثار (٣ / ١٢٤) وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٥٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٤٥- عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ مالك بن نضلة رضي الله عنه، قَالَ: " أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي ثَوْبٍ دُونٍ، فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ أَيِّ الْمَالِ ؟ قَالَ: قَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قَالَ: فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالاً، فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ " د [٤٠٦٣] صحيح على شرط مسلم.

٢٢٤٦- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَفْوَانَ رضي الله عنه، قَالَ: أَصَدْتُ أَرْنَبَيْنِ فَذَبَحْتُهُمَا بِمَرْوَةٍ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: عَنْهُمَا فَأَمَرَنِي بِأَكْلِهِمَا " د [٢٨٢٢]. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه ن (٢ / ١٩٨)، وأخرجه "جه" ح (٣٢٤٤)، أخرجه حم (٣ / ٤٧١).

فائدة: المروة: هي حجر أبيض براق يذبح بها، كذا في عون المعبود (٥ / ٢٥٠)، ولسان العرب (١٥ / ٢٧٥) وهي منونة غير مروة المسعى.

٢٢٤٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، فِي رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَمَاتَ عَنْهَا وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا الصَّدَاقَ، فَقَالَ: «لَهَا الصَّدَاقُ كَامِلاً وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ وَلَهَا الْمِيرَاثُ، فَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " قَضَى بِهِ فِي بِرْوَعَ بِنْتِ وَاشِقٍ " د [٢١١٤] حديث صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه ت (١ / ٢١٤) وأخرجه ن (٢ / ٨٩، ١١٣)، أخرجه جه (١٨٩١)، وأخرجه من (٢ / ١٥٥) وأخرجه حم (٤ / ٢٧٩، ٢٨٠).

٢٢٤٨- عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رضي الله عنه، قَالَ: ايْمُ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: " إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ، فَصَبَرَ فَوَاهًا " د (٤٢٦٣) وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

فائدة: فواهًا: تعني الإعجاب والاستطابة، كذا في عون المعبود (٧ / ٣٣٠).

٢٢٤٩- عَنْ أَبِي كَرِيمَةَ المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله £ : " لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فمَنْ أَصْبَحَ الضَّيْفُ بِفِنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ حَقٌّ، أَوْ قَالَ: دَيْنٌ، إِنْ شَاءَ اقْتَضَى، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ" د [٣٧٥٠] وهو صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه "جه" (٣٦٧٧).

٢٢٥٠- عَنْ نَاجِيَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ £ بَعَثَ مَعَهُ بِهَدْيٍ، فَقَالَ: " إِنْ عَطِبَ مِنْهَا شَيْءٌ فَانْحَرْهُ، ثُمَّ اصْبُغْ نَعْلَهُ فِي دَمِهِ، ثُمَّ خَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ " د [١٧٦٢] وهو صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٥١- عَنْ نُبَيْشَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : " إِنَّا كُنَّا نَهَيْنَاكُمْ عَنْ لُحُومِهَا أَنْ تَأْكُلُوهَا فَوْقَ ثَلَاثٍ لِكَيْ تَسَعَكُمْ فَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالسَّعَةِ فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَأْتَجِرُوا، أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الأَيَّامَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ. " د [٢٨١٣]. صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه البيهقي في السنن (٩ / ٢٩٢) وقال: "قوله: أتجروا أصله ائتجروا على وزن افتعلوا يريد الصدقة التي يُبتغى أجرها، وليس من باب التجارة؛ لأن بيع لحوم الضحايا محرم فاسد.

٢٢٥٢-عَنْ أَبِي بَكْرَةَ نفيع بن الحارث رضي الله عنه، " أَنّ رَسُولَ اللَّهِ £ دَخَلَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ أَنْ مَكَانَكُمْ، ثُمَّ جَاءَ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، فَصَلَّى بِهِمْ " د [٢٣٣] وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٢٥٣- عن الْهِرْمَاسِ بْنِ زِيَادٍ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: " رَأَيْتُ النَّبِيَّ £ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى نَاقَتِهِ الْعَضْبَاءِ يَوْمَ الأَضْحَى بِمِنًى " د [١٩٥٤] وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢٢٥٤- عن عَلْقَمَةَ بْنَ وَائِلٍ عَنْ أَبِيهِ وائل بن حُجْرٍ الحضرمي رضي الله عنه، " أَنّ النَّبِيَّ £ أَقْطَعَهُ أَرْضًا بِحَضْرَمَوْتَ ". ت [١٣٨١] وقال: حديث حسن صحيح، وهو حديث حسن على شرط مسلم.

٢٢٥٥- عَنْ وَهْبِ بْنِ خَنْبَشٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ : " عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ، تَعْدِلُ حَجَّةً " جه [٢٩٩١] وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٥٦- عَنْ يَعْلَى بن أمية رضي الله عنه أَنّ النَّبِيَّ £ " طَافَ بِالْبَيْتِ مُضْطَبِعًا وَعَلَيْهِ بُرْدٌ" ت (٨٥٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٥٧- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ رضي الله عنه أَنَّهُ ذَبَحَ قَبْلَ النَّبِيِّ £ ، " فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ £ أَنْ يُعِيدَ "، قَالَ: عِنْدِي عَنَاقُ جَذَعَةٍ، هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُسِنَّتَيْنِ، قَالَ: " اذْبَحْهَا " أخرجه ن [٤٤٠٢]. وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٥٨- عن قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ (أبي حازم) رضي الله عنه، " أَنَّهُ جَاءَ وَرَسُولُ اللَّهِ £ يَخْطُبُ، فَقَامَ فِي الشَّمْسِ، فَأَمَرَ بِهِ، فَحُوِّلَ إِلَى الظِّلِّ " د [٤٨٢٢] وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٥٩- عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا كُتِبَ لَهُ مِنْهَا " رواه الحاكم في المستدرك (٢ / ٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ولم يخرجاه. اهـ وهو حديث حسن على شرط مسلم وحده.

٢٢٦٠- عَنْ أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه، أَنّ النَّبِيَّ £ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى الصَّدَقَةِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَقَالَ لأَبِي رَافِعٍ: " اصْحَبْنِي فَإِنَّكَ تُصِيبُ مِنْهَا "، قَالَ: حَتَّى آتِيَ النَّبِيَّ £ فَأَسْأَلَهُ، فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: " مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَإِنَّا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ " د [١٦٥٠] وهو حديث صحيح على شرط الشيخين. وأبو رافع هو مولى النبي £ .

٢٢٦١- عن أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه، مولى رسول الله £ عَنِ النَّبِيِّ £ ، قَالَ: " لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ " د [٤٦٠٥] وهو حديث صحيح على شرط الشيخين.

٢٢٦٢- عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ (رجل من بني عامر)، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ وَلَا الْعُمْرَةَ وَلَا الظَّعْنَ، قَالَ: " احْجُجْ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ " د (١٨١٠) وأخرجه ت (٩٣٠) وجه (٣٩٠٦) وهو صحيح على شرط مسلم.

تنبيه

نـنبه القارئ الكريم أنه قد حدث خطأ في ترقيم الأحاديث باب درر البحار عدد المحرم ١٤٣١ هـ من رقم (١١١٥) حتى رقم (١١٣٧) تصحح بإضافة (١٠٠٠) فتصبح (٢١١٥) حتى (٢١٣٧): سبحان ربي «لا يضل ربي ولا ينسى».



الربا في الفقه الإسلامي

إعداد: د/ علي أحمد السالوس

أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه، وبعد:

الربا في الفقه الإسلامي

في الكتاب العزيز

جاء ذكر الربا في أربع من سور القرآن الكريم، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والروم؛ إحداها مكية، وهي سورة الروم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

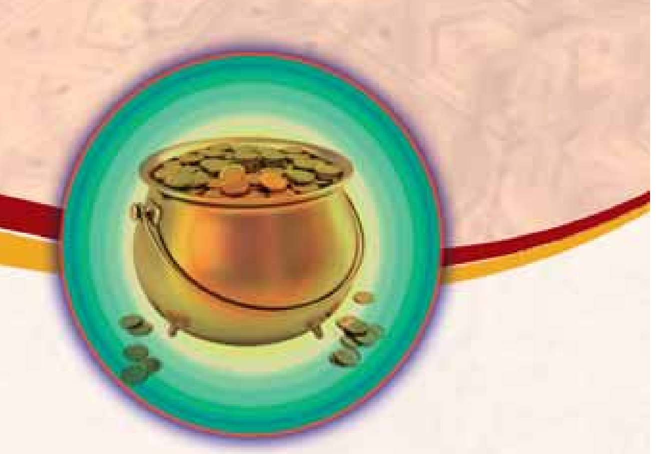
ومن المعلوم أن الربا لم يحرَّم إلا في العهد المدني، أي أن هذه الآية الكريمة المكية جاءت من باب التدرج في التشريع، كما حدث مثلاً في تحريم الخمر، فبينت أن الربا غير مقبول عند الله تعالى، وبذلك هيأت الأذهان والنفوس لتلقي حكم التحريم وتنفيذه.

ثم نزل التحريم في قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وجاءت سورة البقرة بختام هذا التشريع، فبينت سوء المنقلب لمن يتعامل بالربا واعتبرته عدوًا لله، ولرسوله ﷺ مستحقًا لحربهما، وأي خسارة بعد هذه الخسارة؟ فتدبر قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥- ٢٧٩].

في السنة الشريفة

وجاءت السنة النبوية الشريفة تبين أن الربا من الكبائر، ومن الجرائم الموبقات المهلكات، وأن اللعنة تلحق من يأكله، ومن يُطعمه غيره، ومن يكتبه، ومن



يشهد عليه، وانظر مثلاً في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري تجد ثلاثين حديثًا في الترهيب من الربا.

منها ما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». [البخاري ٢٧٦٦، ومسلم ٨٩].

وما رواه مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سواء». [مسلم ١٥٩٨].

وما رواه البخاري بسنده عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: قال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم، فيه رجل قائم، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ فقال: الذي رأيته في النهر: آكل الربا». [البخاري: ٢٠٨٥].

ولا يسع أي مؤمن يسمع كلام الله تعالى، وكلام رسول الله ﷺ إلا أن يجتنب الربا أو ما فيه شبهة ربا.

لذا وجب أن نعرف ما يتعلق بالربا، وعلى الأخص في زماننا هذا، وقد عمت البلوى، واستشرى الفساد في الأرض، وأصبح كثير من الناس ينطبق عليهم قول الرسول ﷺ: « يأتي على الناس زمان، لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام». [البخاري ٢٠٥٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه].

وقوله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من بخاره». وفي رواية: «من غباره». [أبو داود ٣٣٣١].

مفهوم الربا المحرم

الربا في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن الربا في أربع من سوره، وكان الختام هو آيات الربا في سورة البقرة: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ إلى: ﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ ﴾ [الآيات: ٢٧٥ – ٢٧٩].

وتفسير آيات الربا في السور الأربع يطول ذكره. والرجوع إليه – بحمد الله تعالى – ميسر في كثير من الكُتب، والذي نريد أن نقف عنده هنا هو معنى الربا الذي تحدث عنه القرآن الكريم، وكان شائعًا في الجاهلية عند تفسير قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾.

روى الطبري عن مجاهد قال: في الربا الذي نهى الله عنه: كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدَّيْن فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عني. فيؤخر عنه.

وعن قتادة: أن ربا أهل الجاهلية: يبيع الرجل إلى أجل مسمى، فإذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء، زاده وأخَّر عنه.

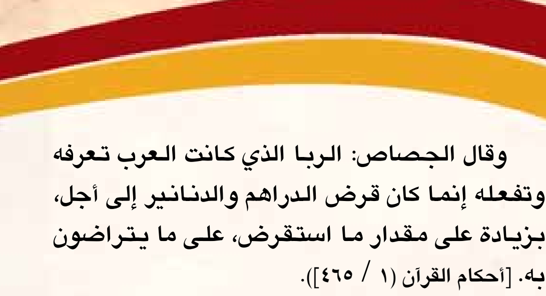
وعند قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

روى الطبري عن السدي قال: نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب، ورجل من بني المغيرة، كانا شريكين في الجاهلية، يسلفان في الربا إلى أناس من ثقيف.

وعن الضحاك قال: كان ربًا يتبايعون به في الجاهلية، فلما أسلموا أُمروا أن يأخذوا رءوس أموالهم. [راجع الجزء السادس من تفسير الطبري – تحقيق محمود محمد شاكر ص: ٧ وما بعدها].

لا يسع أي مؤمن يسمع كلام الله تعالى وكلام

قد يربح المقترض في تجارته برأس مال المقرض



وقال الجصاص: الربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل، بزيادة على مقدار ما استقرض، على ما يتراضون به. [أحكام القرآن (١ / ٤٦٥)].

وقال في موضع آخر: معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضًا مؤجلاً بزيادة مشروطة، فكانت الزيادة بدلاً من الأجل، فأبطله الله تعالى وحرمه. [أحكام القرآن (١ / ٦٧)]

وقال الفخر الرازي: ربا النسيئة هو الأمر الذي كان مشهورًا متعارفًا في الجاهلية، وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدرًا معينًا، ويكون رأس المال باقيًا، ثم إذا حلَّ الدَّيْن طالبوا المدين برأس المال، فإن تعذر عليه الأداء زادوا في الحق والأجل، فهذا هو الربا الذي كانوا في الجاهلية يتعاملون به. [تفسير الرازي (٤ / ٩٢)].

وقال ابن حجر الهيثمي: ربا النسيئة هو الذي كان مشهورًا في الجاهلية؛ لأن الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره إلى أجل، على أن يأخذ منه كل شهر قدرًا معينًا ورأس المال باقٍ لحاله، فإذا حل طالبه برأس المال، فإن تعذر عليه الأداء زاد في الحق والأجل. [الزواجر عن اقتراف الكبائر (١ / ٢٢٢)].

وتسمية هذا نسيئة، يصدق عليه ربا الفضل أيضًا؛ لأن النسيئة هي المقصودة فيه بالذات.

مما سبق نرى أن ربا الجاهلية كان من ربا الديون، وهو ربا النسيئة.

والدَّين قد يكون ناشئًا عن بيع آجل، فإذا حل الأجل ولم يدفع المشتري الثمن التزم بدفع زيادة عليه مقابل الزيادة في الأجل، وقد يكون الدين قرضًا تربي، فإما أن يؤدي المقترض، وإما أن يزاد في الدين والأجل.

ويظهر الاستغلال والحاجة عند عجز المدين عن أداء الدين، وتطبيق القاعدة الجاهلية، ولكن لا يظهر شيء من هذا إذا لم يعجز المدين، وأدى الدين والزيادة الربوية المتفق عليها، وقد يربح المقترض في تجارته برأس مال المقرض أضعاف الزيادة الربوية، ومع هذا يظل التحريم قائمًا، ويأذن جميع آكلي الربا بحرب من الله ورسوله.

فربا الجاهلية إذن لا يظهر فيه الاستغلال والحاجة إلا في صورة من صوره، وهو مثل الفوائد المركبة التي تأخذها جميع البنوك الربوية في عصرنا، ومثل ما يفعله كثير من التجار في البيع بالتقسيط؛ حيث يأخذون زيادة من المشتري عند تأجيل دفع الأقساط عن موعدها المحدد.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾ يبين أن أي زيادة على رأس المال مهما قلت أو كثرت تعتبر من الربا المحرم، وهذا الحكم خاص بالمدين الموسر، أما المدين المعسر فيبين حكمه قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾.

◘◘ الربا في السنة المطهرة ◘◘

جاءت السنة المطهرة لتؤكد تحريم ربا الديون الذي حرمه القرآن الكريم، وتبين أنه من أكبر الكبائر، ومن السبع الموبقات المهلكات، وأن اللعنة تنزل على كل من يشترك في ارتكابه، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره أن النبي £ لعن آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سواء». [مسلم ١٥٩٨]. وفي مسلم أيضًا: «فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي سواء». [مسلم ١٥٨٨].

وفقه الحديث الشريف يبين أن أي زيادة ربا محرم، ويستوي في الإثم واللعنة المقرض والمقترض، ولو كان التحريم مرتبطًا بالاستغلال وقصد الظهر فقط كما يقول المجترئون على الفتيا لكانت اللعنة لا

رسوله £ إلا أن يجتنب الربا أو ما فيه شبهة ربا ◘◘

أضعاف الزيادة الربوية، ومع ذلك يظل التحريم قائمًا ◘◘



تلحق المقترض الفقير، والإثم يرتفع عن المضطر المحتاج.

كما كان للسنة دور آخر؛ حيث بينت تحريم ربا البيوع، وهو نوعان: ربا الفضل: أي الزيادة، وربا النسيئة: أي التأجيل والتأخير.

ويجمعهما حديث الأصناف الستة المشهور: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُرُّ بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يدًا بيد». [مسلم ١٥٨٤] فبيع الذهب بالذهب، أو الفضة بالفضة. إلخ. يشترط فيه التقابض في المجلس، وعدم الزيادة، فإن كانت هناك زيادة مع القبض فهذا ربا الفضل، وإن لم يتم القبض فهو ربا نسيئة، سواء اشتمل على ربا الفضل أم لم يكن فيه زيادة.

أما عند بيع الذهب بالفضة فلا يشترط التساوي، ولكن لا بد من التقابض كما جاء فيما رواه الشيخان: «الذهب بالورق - أي العملة الفضية - ربا؛ إلا هاء وهاء»، أي: خذ وهات، فإن لم يتم القبض فهو ربا نسيئة.

الإجماع

اختلف الفقهاء فيما يلحق بالأصناف الستة، ويأخذ حكمها في حالة البيع، ويعد من الأموال الربوية، فإذا لم تتوافر الشروط المذكورة آنفًا كان ربا الفضل أو النسيئة، وقد أفتت كل المجامع الفقهية بأن النقود الورقية لها ما للذهب والفضة من الأحكام.

والاختلاف هنا إنما هو في حالة البيع فقط، أما في القرض فلا خلاف في تحريم أي زيادة مشروطة في العقد، ولا يقتصر هذا على الأصناف الستة وما يلحق بها، وإنما هو في كل شيء.

قال الإمام مالك: كل شيء أعطيته إلى أجل فرد إليك مثله وزيادة فهو ربا. [المدونة (٤ / ٢٥)].

وقال ابن رشد الجد: وأما الربا في النسيئة فيكون في الصنف الواحد وفي الصنفين، أما في الصنف الواحد فهو في كل شيء من جميع الأشياء، لا يجوز واحد باثنين من صنفه إلى أجل من جميع الأشياء. [مقدمة ابن رشد (ص٥٠٧)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس له أن يشترط الزيادة عليه في جميع الأموال باتفاق العلماء». [مجموع الفتاوى ٢٩ / ٥٣٥].

وأهل الظاهر الذي خالفوا الجمهور، فوقفوا عند الأصناف الستة في البيع، لم يخرجوا على الإجماع في القرض: قال ابن حزم: «الربا لا يجوز (أي: لا يكون) في البيع والسلم إلا في ستة أشياء فقط: في التمر والقمح والشعير والملح والذهب والفضة، وهو في القرض في كل شيء». [المحلى (٩ / ٥٠٩)]

وقال: «وهذا إجماع مقطوع به».

وقال ابن قدامة: «كل قرض شرط فيه أن يزيده فهو حرام بغير خلاف. قال ابن المنذر: أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستلف زيادة أو هدية - فأسلف على ذلك - أن أخذ الزيادة على ذلك ربا». [المغني (٤ / ٣٦٠)].

إذن فتحريم فوائد القرض ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ومعلوم من الدين بالضرورة.

قال الإمام الشيخ محمد أبو زهرة، رحمه الله: إن النصوص القرآنية الواردة بالتحريم تدل على أمرين ثابتين لا مجال للشك فيهما:

الأمر الأول: أن كلمة الربا لها مدلول لغوي عند العرب كانوا يعاملون به ويعرفونه، وأن هذا المدلول هو زيادة الدَّيْن نظير الأجل، وأن النص القرآني كان واضحًا في تحريم ذلك النوع، وقد فسره النبي £، بأنه الربا الجاهلي، فليس لأي إنسان - فقيه أو غير فقيه - أن يدعي إبهامًا في هذا المعنى اللغوي، أو عدم تعيين المعنى تعيينًا صادقًا، فإن اللغة عينته، والنص القرآني عينه بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

الأمر الثاني: هو إجماع العلماء على أن الزيادة في الدَّين نظير الأجل هو ربا محرم ينطبق عليه النص القرآني، وأن من ينكره أو يماري فيه فإنما ينكر أمرًا عُلم من الدين بالضرورة، ولا يشك عالم في أيّ عهد من عهود الإسلام أن الزيادة في الدين نظير تأجيله ربا لا شك فيه. [انظر: بحوث في الربا ص٢٩، ٣٠].

ونكمل حديثنا في العدد القادم إن شاء الله تعالى عن «القرض الإنتاجي الربوي».

والله من وراء القصد.



إعداد/ محمد رزق ساطور

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فقد قلنا إن للغفلة أسبابًا منها: أولاً: الجهل بالله عز وجل وأسمائه وصفاته. وثانيًا: الاغترار بالدنيا والانغماس في شهواتها. ونكمل بقية أسباب الغفلة؛ فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ثالثا: صحبة السوء

فالمرء على دين خليله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل» [صحيح الجامع ٣٥٤٥].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيّ» [صحيح الجامع ٦٣٥٠].

قال سبحانه في وصف خليل السوء ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، نزلت في عقبة بن أبي معيط، وذلك أن عقبة كان لا يَقْدَمُ من سفر إلا صنع طعامًا فدعا إليه أشراف قومه، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ، فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعامًا فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ، فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فأكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكان عقبة صديقًا لأبَيِّ بن خلف، فلما أخبر أبي بن خلف قال له: يا عقبة صبأت؟ قال: لا والله ما صبأت، ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييتُ أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك أبدًا إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عقبة، فقال عليه السلام: «لا ألقاك خارجًا من مكة إلا علوتُ رأسك بالسيف» فقتل عقبة يوم بدر صبرًا.

وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد بيده.

وقال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه، فاحترق خداه، وكان أثر ذلك فيه حتى الموت» [أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٣٨٨) بسند صحيح، وانظر الدر المنثور، وأسباب النزول للواحدي، وتفسير البغوي].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»

[البخاري ٥٥٣٤، ومسلم ٢٦٢٨].

قال النووي رحمه الله: «فيه تمثيله ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فُجْرُه وبَطَالَتُه. ونحو ذلك من الأنواع المذمومة».

وانظر إلى أبي طالب حين حضرته الوفاة قال له النبي ﷺ: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله»، وفي رواية «أي عم إنك أعظمهم عليَّ حقًّا، وأحسنهم عندي يدًا، ولأنت أعظم حقًّا علي من والدي، فقل كلمة تجب لك عليَّ بها الشفاعة يوم القيامة، قل: لا إله إلا الله» فأراد أن يتلفظ بها، وأراد أن ينجو من النار، وأن يدخل في رحمة الواحد الغفار، وكاد أن يفعل، لكن صحبة السوء – أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة– تضرّ وتُعمي وتُصم، فقد قال له أبو جهل: كيف ترغب عن ملة آبائك وأجدادك؟ ورسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فهذا من شؤم الصحبة السيئة الخبيثة، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة ١١٣]» [البخاري ١٣٦٠، ومسلم ٢٤].

وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء....» الحديث [مسلم ٢٧٦٦].

لقد انتفع الرجل بابتعاده عن الصحبة السيئة، والحرص على الصحبة الطيبة، وختم الله تعالى له بالخير على اقترابه من الصحبة الطيبة، فصُحبة السوء تمنع من الهداية والاستقامة، والالتزام والتمسّك بشرع الله، وتودي بصاحبها إلى الغفلة والبعد عن دين الله تعالى.

وقد أوصى رجل ابنه فقال: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك – أي كفاك – واصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى سيئة سدّها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدّق قولك، وإن حاولت أمرًا آمرك –أي أعانك– وإن تنازعتما آثرك. ويقول الله تعالى: ﴿الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

رابعًا: الانصراف عن ذكر الله

من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الغفلة البعد عن ذكر الله تعالى، قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧]، فذكر الله تعالى تطمئن به القلوب ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وتنفرج به الكروب، وينال العبد به محبة علام الغيوب، وبذكر الله يحصل النصر والتمكين، ويثبّت الله القلب في مواطن الضعف قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ترك الذكر يؤدي إلى ضنك العيش في الدنيا والعمى في الآخرة، ويورث الوبال والحسرة، والضلال والغفلة

وأما ترك الذكر فيؤدي إلى ضنك العيش في الدنيا، والعمى في الآخرة، ويورث الوبال والحسرة، والضلال والغفلة، قال سبحانه: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ

الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها» [أخرجه الطبراني والبيهقي بأسانيد أحدها جيد كما قال المنذري وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٤٩٨٦].

وبقدر الإعراض عن ذكر الله تعالى تكون الغفلة والإعراض الكلي؛ مما يسبب الشقاوة الكلية، فالذين يعرضون عن ذكر الله يلجأون إلى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأنداد له، فيعبدونهم أي يعظمونهم ويخضعون لهم، ويدعونهم ويستمدون منهم المدد والبركات، ويرفعون إليهم الحاجات، ويرجون عند ذكر أسمائهم الخير والنعمة، ويتوقعون من سخطهم الشر والنقمة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤]، بل إنهم يأنسون بغير ذكر الله، ولا يسعدون بذكره سبحانه، قال جل شأنه ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

وهذا الانصراف عن ذكر الله تعالى سوَّل لبعض الناس أن يبتدعوا ذكرًا يتراقصون به ويتمايلون، ويلهجون بكلمات يزعمونها ذكرًا، ولم يعرفوا من ذكر الله إلا هذا النوع الذي لا أصل له في كتاب الله ولا في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

خامسًا: الإعراض عن النصيحة

الإنسان في طريقه تنتابه عوارض تُباعد بينه وبين الله تعالى، وتوقعه في المعصية والمخالفة فتورثه الذل والمهانة، ويكون في أمَسّ الحاجة إلى من ينصحه ليبصِّره بعيبه، وينقذه مما هو فيه من غيّ وتيه، والدين في كلمة واحدة: النصيحة، كما قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة ثلاث مرار، قالوا: يا رسول الله لمن؟ قال: لله، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [مسلم ٥٥]. فجعل الدين محصورًا في النصيحة؛ لأن حقيقة النُّصْح: إخلاص القول والعمل لله جل وعلا، وهو يتضمن أن يخلص المتابعة، ويخلص اتباع الكتاب، ويكون دائمًا بالطاعة، ودائمًا بمحبة الخير للأمة، فتقدم النصيحة لطالب العلم بحسب مقامه بأدب واحترام، وبيان للحق بدليله، من غير عُنف ولا تعالٍ، بل بالحكمة والموعظة الحسنة، وبدلاً من أن يحرص على النصيحة تراه يُعرض عنها، وينفر منها فلا يحب الناصحين، ولا يتذكر مع المتذكرين، بل إن كثيرًا منهم تخوفه بالله فلا يخاف، وتذكِّره بعقاب الله فلا يلقي لك بالاً، تذكره بالآخرة والجنة والنار فلا يجد في نفسه إقبالاً عليك، ولا يجد لهذه المواعظ تأثيرًا في نفسه ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ﴿ أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٧]، ولكنهم مع ذلك لا يلقون للمواعظ بالاً، بل إن كثيرًا منهم كما قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٧]، فلا يمكن أن يقبل النصيحة من أي أحد، كائنًا من كان، فأصبحوا في غفلة وغمرة عن هذه المعاني العظيمة ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٣]، وهذا الإعراض يورث الغفلة، بل هو من أعظم أسبابها، نعوذ بالله من الخذلان.

سادسًا: التسويف والتمني

التسويف: التأخير، وإذا قال: سوف أفعل، والتمني: حديث النفس بما يكون مستقبلاً وما لا يكون، وقيل إرادة تتعلق بالمستقبل، فهو بدلاً من أن يسرع بالعودة إلى الله تعالى يسوفها ويؤخرها، والمسوِّف هو الذي كلما همَّت نفسه بفعل الخير يعوقها بـ(سوف)، فلا يزال على ذلك حتى يأتيه الموت فيقول كما

> الإنسان في طريقه تنتابه عوارض تباعد بينه وبين الله تعالى، وتورثه الذل والمهانة، ويكون في أمسّ الحاجة إلى من ينصحه ليبصره بعيبه

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ فيأتيه قول الحق: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ويتمنى على الله الأماني، فالتسويف والتمني داءان خطيران، يفسدان القلب والوقت، ويَعْرُجَان بالمرء إلى عالم الخيال، وهما صفة بليد الحس، عديم المبالاة، الذي كلَّما همَّت نفسه بخير، إما يعوقها بسوف حتى يفجأه الموت، وإما يركب بها بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له، يدمن ركوبه مفاليس العالم.

قيل لبعض الحكماء: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: من بَعُدت همته، واتسعت أمنيته، وقصرت آلته، وقلت مقدرته.

فَلْيَدَع المسوِّف الأماني الكاذبة، والخيالات الكاسدة وأحلام اليقظة التي تضيّع الوقت وتطيش في الميزان، فالله تعالى يقول: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١] وقال: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك في أهل القبور».

فقال لي ابن عمر: «إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك؛ فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدًا» [صحيح الترمذي للألباني ٢٣٣٣، وأصل الحديث رواه البخاري ٦٤١٦].

والتسويف آفة لا تنتهي، ورجاء المعدوم وانتظاره سفَه، وإن مَثَل المسوِّف كمثل رجل أراد أن يخلع شجرة فعمد إليها، وكاد أن يخلعها، ولكنه لم يصبر وتركها، وقال آتيها غدًا، وهو لا يدري أنها لما كبرت كلما اشتدت، وهو كلما كبر كلما ضعف، فكيف له بعد ما قويت واشتدت وضعف هو؟!!

فالتسويف والتمني يؤديان حتمًا للغفلة التي تطبق على العبد، ولا تنفك عنه؛ لاجتماع المعاصي عليه، وعدم التحول عنها أو التوبة منها، فتحول بينه وبين ربه، وتجتمع عليه فتقتله وتبيده؛ فيصيبه الهلاك والدمار.

سابعًا: الانغماس في الشهوات وفي الشبهات

الانغماس في الشهوات والشبهات يجعل على العينين غشاوة، وفي السمع وقر، وعلى القلب أقفال، وكما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤]، يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الدنيا من أنواع الملاذ والشهوات مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، فبدأ بالنِّسَاءِ؛ لأن الفتنة بهن أشدّ، ثم بالبنين، ثم بالمال مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ، وَالأَنْعَامِ من الإبل والبقر والغنم، وَالْحَرْثِ أي الأرض للغرس وللزراعة، ثم يخبر أن ذلك كله مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وزينتها الفانية الزائلة.

وكما قال سبحانه: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب! وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره، ثم

> أسوأ الناس حالاً: من بَعُدَت همته، واتسعت أمنيته، وقصرت آلته، وقلت مقدرته

قال: يا جبريل ! اذهب فانظر إليها، فذهب، ثم نظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب ! وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق الله النار، قال: يا جبريل ! فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب، فنظر إليها فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها». [صحيح الجامع ٥٢١٠].

فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، وقال يحيى بن معاذ الرازي: جاهد نفسك بأسياف الرياضة، والرياضة على أربعة أوجه: القوت من الطعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام، وحمل الأذى من جميع الأنام؛ فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات، وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء، والصبر على الأذى، وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام، وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام، وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام، وتصفيها من ظلمة شهواتها؛ فتنجو من غوائل آفاتها.

وقال بعض الحكماء: من استولت عليه النفس صار أسيرًا في حب شهواتها محصورًا في سجن هواها، مقهورًا مغلولاً زمامه في يدها تجره حيث شاءت، فتمنع قلبه من الفوائد.

وقال جعفر بن حميد: أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يُدرك إلا بترك النعيم. وقال أبو يحيى الوراق: من أرضى الجوارح بالشهوات؛ فقد غرس في قلبه شجر الندامات.

وقال وهيب بن الورد: ما زاد على الخبز فهو شهوة. وقال أيضًا: من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل.

وقال قتادة: «إذا كان الرجل كلما هوى شيئًا ركبه، وكلما اشتهى شيئًا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى؛ فقد اتخذ إلهه هواه».

فإذا أوغلوا في الشهوات، وفي اللهو، وفي اللعب، صاروا إلى الغفلة ولم يفيقوا منها ولم ينفكوا عنها، فالتوسع في الملذات والاستكثار من الشهوات، يؤدي إلى التكاسل عن العبادة والطاعات، والتكبر على الناس مع فعل الموبقات. والشبهات قال الله تعالى عنها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ فتدخل عليه شبهات في العلم وفي الفهم، تورث الابتداع وعدم وضوح المنهج، والغفلة عن الحق المبين، ويتعلق بالمتشابه ابتغاء الفتنة؛ لما في قلبه من الزيغ، فلا بد من ردّ المتشابه إلى المحكم.

قال عبد الرحمن بن مهدي: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم» [البخاري ٤٥٤٧].

أسأل الله تعالى أن يهدينا إلى الحق المبين، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن ينجينا وإياكم من الغفلة، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين. وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

> إذا كان الرجل كلما هوى شيئًا ركبه، وكلما اشتهى شيئًا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى؛ فقد اتخذ إلهه هواه





الحمد لله الذي هدانا إليه صراطًا مستقيمًا، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ، الذي بعثه ربه هاديًا، ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

فإن الهدف الأسمى من عبادة المسلم هو مرضاة الله تعالى لدخول جنة الخلد. من أجل ذلك أحببت أن أُذكِّر نفسي وإخواني الكرام بصفة الجنة ونعيم أهلها، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

١- الجَنةُ موجودةٌ الآن:

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [البخاري ٤٧٧٩، ومسلم ٢٨٢٤].

وعَنْ أبي ذرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ -وهو يتحدث عن رحلة المعراج وفرض الصلوات الخمس-: «.. ثُمَّ انْطَلَقَ بِي -أي جبريل- حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ -عقود وقلائد- اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ..» [البخاري ٣٤٩].

٢- صفة بناء الجَنة:

قال الله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله تبارك وتعالى الجنة؛ لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك فقال لها: تكلمي، فقالت: (قد أفلح المؤمنون)، فقالت الملائكة: طوبى لك، منزل الملوك» [وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٦٦٢].

وعَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا»، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ». [صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢٠٥١].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ الْمُؤْمِنُ، فَلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا». [مسلم ح: ٢٨٣٨].

٣- أبوابُ الجَنة:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لاَ يَدْخُلُهُ إِلاَّ الصَّائِمُونَ». [البخاري ح: ٣٢٥٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال -وهو يتحدث عن الشفاعة العظمى يوم القيامة-: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى». [البخاري ح: ٤٧١٢، ومسلم ١٩٤].

٤- درجاتُ الجَنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ؛ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». [البخاري ح: ٢٧٩٠].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الْأَرْبَعَةُ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ؛ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ». [صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٠٥٦].

٥- أنهارُ الجَنة

قال سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بن حيدة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الْخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الْأَنْهَارُ بَعْدُ». [صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٠٧٨].

٦- أشجارُ الجَنَة:

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا». [البخاري ٦٥٥٢، ومسلم ٢٨٢٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ». [صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٠٤٩].

٧- رائحةُ الجَنَة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي £ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا». [البخاري حديث: ٣١٦٦].

٨- صفة أهل الجَنة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ. وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٥- ٤٧].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ». [البخاري ٣٢٥٤، ومسلم ٢٨٣٤].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً». [صحيح الترمذي للألباني ٢٠٦٤].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ». [مسلم حديث: ٢٨٣٥].

٩- صفاتُ الحُور العين:

قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ. جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٧٠- ٧٤].

حورٌ: جمع حَوْرَاء، وهي المرأة الشابة، الجميلة، البيضاء، شديدة سواد العينين.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ: نَحْنُ الْخَيِّرَاتُ الْحِسَانُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ. وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَهْ، نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا يَخَفْنَهْ، نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا يَظْعَنَّهْ». [صحيح الجامع للألباني ١٥٦١].

١٠- ثيابُ أهل الجَنة وحُليهم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا. أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

وقال سبحانه: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ». [مسلم ح: ٢٨٣٦].

وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ». [صحيح الترمذي للألباني ٢٠٦١].

١١- طعام وشراب أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٠].

وقال سبحانه: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة: ١٧- ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٥ - ٦].

وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ. وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المرسلات: ٤٠- ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ. يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ ﴾ [الطور: ٢٢ - ٢٣].

١٢- آنية أهل الجنة:

عَنْ عبد الرحمن بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ كَانَ حُذَيْفَةُ بن اليمان رضي الله عنه بِالْمَدَائِنِ فَاسْتَسْقَى فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ (تاجر) بِقَدَحِ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَرْمِهِ إِلاَّ أَنِّي نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَقَالَ: هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ. [البخاري ٥٨٣١، ومسلم ٢٠٦٧].

١٣- فُرُش أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقال جل شأنه: ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ. فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ. وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٢- ١٦].

١٤- خدم أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴾ [الإنسان: ١٩].

قال ابنُ كثير -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴾ أي: يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدانٌ من ولدان الجنة ﴿ مُخَلَّدُونَ ﴾ أي: على حالة واحدة مخلدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن. ومن فسرهم بأنهم مُخَرَّصُونَ في آذانهم الأقرطة، فإنما عبَّر عن المعنى بذلك؛ لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير.

وقوله: ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴾ أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحُسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤًا منثورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه. [تفسير ابن كثير ٤ / ٢١٤].

١٥- زراعة أهل الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ»، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لاَ تَجِدُهُ إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ. [البخاري ح: ٧٥١٩].

١٦- سوق الجنة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ؛ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً؛ فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً. فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً». [مسلم ح: ٢٨٣٣].

١٧- تحية أهل الجنة:

قال سبحانه: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠].

وقال جل شأنه: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا. إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا ﴾. [الواقعة: ٢٥-٢٦].

١٨- أدنى أهل الجنة منزلاً:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ

النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيُقَالُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّهَا مَلأَى فَيَقُولُ اللَّهُ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ أَتَسْخَرُ بِي أَوْ أَتَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. فَكَانَ يُقَالُ هَذَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً. [صحيح ابن ماجه للألباني ٣٥٠١].

١٩- استمتاع أهل الجنة برؤية الله تعالى:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. [القيامة: ٢٢، ٢٣].

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». [مسلم ح: ١٨١].

٢٠- خلود أهل الجنة في النعيم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً. خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧- ١٠٨].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». [مسلم ح: ٢٨٣٧].

وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «النوم أخو الموت، ولا ينام أهل الجنة» [السلسلة الصحيحة للألباني حديث ١٠٨٧].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». [البخاري ٦٥٤٩، ومسلم ٢٨٢٩].

٢١- أفضل نساء أهل الجنة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ». [صحيح الجامع للألباني ١١٣٥].

٢٢- نبينا محمد ﷺ أول من يدخل الجنة:

روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ». [مسلم حديث: ٣٣٣].

٢٣- أمتنا الإسلامية أكثر أهل الجنة عددًا:

روى الترمذيُّ عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ» [صحيح الترمذي للألباني ٢٠٦٥].

وختامًا: أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمعنا مع نبينا ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنة، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



من نور كتاب الله

المنافسة على الدنيا تحرمك الخير

«تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)â

[القصص: ٨٣،٨٤].

من دلائل نبوته £

إخباره أن النصر والتمكين لهذا الدين

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لا تَخَافُ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى. قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ. قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ. [البخاري ٣٥٩٥].

من هدي رسول الله £

ماذا نقول عند المصيبة؟

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ £ ورضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ £ يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَخَلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ £؟ قَالَتْ: ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي فَقُلْتُهَا: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا. قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ £ . [صحيح الترمذي للألباني ٣٥١١].

من فضائل الصحابة

الرسول £ يصرح بخلافة أبي بكر

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ £ فِي مَرَضِهِ: « ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى. وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ ». [مسلم ٢٣٨٧].

من أقوال السلف

كان الشافعي رحمه الله يقول: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله £ فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت».

وعن عبد الله بن الحسن قال: قلت للوليد بن مسلم: ما إظهار العلم؟ قال: إظهار السنة. [الاعتصام للشاطبي]

من جوامع دعائه £

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ £ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

[مسلم ٢٧٣٩].



حكم ومواعظ

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جزاء المعصية الوَهَن في العبادة، والضيق في المعشية، والنقص في اللذة. قيل: وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلالٍ إلا جاءه ما ينغصه إياها.

وعن مطرٍ الوراق قال: خصلتان إذا كانتا في عبد كان سائر عمله تبعًا لهما: حسن الصلاة، وصدق الحديث. [صفة الصفوة]

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

حديث جابر: أول ما خلق يا جابر نور نبيك، أو حديث أول ما خلق الله نوري. قال السيوطي في الحاوي: ليس له إسناد يعتمد عليه.

وحديث: كنت نبيًا وآدم بين الطين والماء. قال السخاوي: لم أقف عليه.

نقد التصوف

قال ابن الجوزي: وعلى هذا كان أوائل القوم قد لبَّس إبليس عليهم في أشياء.. وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل؛ فلما أطفأ مصباح العلم لديهم تخبطوا في الظلمات:.. فمنهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم؛ فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد، ومازال إبليس يخبطهم بفنون البدع؛ حتى جعلوا لأنفسهم سننًا. [مصائد الشيطان].

زكاة العلم العمل به

عن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال: بِتّ ليلةً عند أحمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه. فلما أصبح نظر في الماء فإذا هو كما كان؛ فقال: سبحان الله، رجل يطلب العلم لا يكون له وِرْد بالليل؟ [صفة الصفوة]

حكمة الشعر

قال أحد الشعراء عن حقوق الصداقة:

عَجِبتُ لبعضِ الناسِ يبذُلُ ودَّهُ
ويمنعُ ما ضمَّتْ عليه الأَصابعُ

إذا أنا أعطيْتُ الخليلَ مودَّتي
فليس لِمَالِي بَعْدَ ذلك مانعُ

صحّح لغتك

قل (بَطَلَ) ولا تقل (بَطُلَ) في قول بعضنا في المثل المعروف: «إذا عُرِفَ السببُ بَطَلَ العجبُ» (وليس بطُلَ)؛ لأنه من الفعل المجرد الثلاثي على وزن فَعَلَ.









أثر السياق في فهم النص

الحلقة الثالثة عشرة

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فإن قرائن السياق المُقَيِّدَة للمطلق تضبط لنا دلالة اللفظ، وبالتالي فهم مدلول النص وما يترتب عليه من نتائج، وقبل أن ننظر في هذه القرائن، نعرِّف المطلق والمقيد ونعرض لبعض مسائلهما:

أولاً: تعريف المطلق

المطلق في اللغة: الخالي من القيد، يقال: أطلق البعير من قيده، إذا خلاَّه بلا قيد.

أما في الاصطلاح فقد عرَّفه الأصوليون بتعريفات متعددة، منها:

١- أنه الدال على الحقيقة من غير وصف زائد عليها، ومثاله: النكرة في سياق الأمر: أي المأمور بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٣].

فالرقبة المأمور بها في الآية مطلقة، لم تُوصف بقيد زائد على حقيقة جنس الرقبة. [أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله. د. عياض بن نامي السلمي ١ / ٢٥٢].

تعريف المقيد: لغة: ما جُعل فيه قيد من بعير ونحوه

اصطلاحًا: ما دل على فرد مقيد لفظًا بأي قيد، كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾، أو هو ما تناول معينًا أو موصوفًا بوصف زائد على حقيقة جنسه، فالمقيد إذًا نوعان: الأول: المعيَّن، كالعلم والمشار إليه.

الثاني: غير المعين الموصوف بوصف زائد على معنى حقيقته.

وهذا النوع الأخير (الثاني) مقيد باعتبار، ومطلق باعتبار، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

فالرقبة المذكورة في الآية مقيدة بالإيمان، ولكنها مطلقة من حيث الذكورة والأنوثة، ومن حيث الكبر والصغر، فيكون اللفظ مطلقًا باعتبار ومقيدًا باعتبار، وهو يختلف عن المطلق الذي لا تقييد فيه. [رسالة الأصول من علم الأصول لابن عثيمين ٢ / ٢١، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١ / ٢٥٢، شرح الورقات للفوزان ١ / ٧٢].

الفارق بين العام والخاص والمطلق والمقيد

قد يصعب التفرقة بين العام والخاص والمطلق والمقيد؛ وذلك للتشابه بينهما، فالمطلق عام والمقيد خاص، لكن العام عمومه شمولي، والمطلق عمومه بدلي، والخاص خصوصيته لأفراده، والمقيد خصوصيته بدلية، ولهذا يقال في المطلق والمقيد أحيانًا: إنه عام باعتبار أن عمومه بدلي. (لذا فإن من أهل العلم من يدخل المطلق والمقيد في العام والخاص باعتبار كون المطلق عامًا بدليًا كالجويني مثلاً في «الورقات».

وبالمثال يتضح الأمر: في قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾ [المجادلة: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ [النساء: ٩٢].

«فتحرير رقبة» مطلقًا وليس عامًا ؛ لماذا؟ لأن رقبة نكرة، والنكرة عندما تكون في سياق النفي أو النهي أو الاستفهام أو الشرط فإنها تفيد العموم، لكن قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ نكرة، لكن في سياق الإثبات، والنكرة في سياق الإثبات تكون مطلقة وليست عامة، (فأكثر مواضع المطلق النكرة في سياق الإثبات).

مثلاً: إذا قلت الرجال، دخل في ذهنك كل الرجال، أو الرقاب، دخل في ذهنك كل الرقاب، أو الكتب دخل في ذهنك كل الكتب، وهكذا.. فهذا يفيد العموم.

أما المطلق فإنه لا يكون الدخول فيه شموليًا (كالعام)، ولكن يكون الدخول، دخول الأفراد تحت اللفظ بدليًا، إما هذا أو هذا...

نعم هو عام لكن على سبيل البدل لا على سبيل الشمول، يعني مثلاً لو قلت: اعتق الرقاب، فإن هذا يعني أن تعتقها جميعًا؛ لأن هذا عموم شمولي، لكن لو قلت: اعتق رقبة، وعندك عشر رقاب من البشر، هذا سعيد، وهذا سعد، وهذا خالد، إلى آخره.

فهو من حيث الأمر يشمل الجميع، لكن هل يشملها بأن أعتق العشر الرقاب، أو أنا مخير في واحد منها، أنا مخير في أي رقبة منها، فتحرير أي واحد، سعيد، خالد... تكون بذلك قد امتثلت للأمر، فالعموم هنا في المطلق بدلي – كما رأيت – لكن في العام شمولي. [شرح الورقات لآل الشيخ ١ / ١٣٠ – ١٣٣ بتصرف يسير، وشرح الورقات للفوزان ١ / ٧٢].

فالمطلق أصالةً نريد به فردًا واحدًا، أما العام فنريد به أصالةً الشمول.

– وهناك فارق آخر هو أن العام يصح منه الاستثناء، ففي قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر: ١– ٣]، (فلفظة الإنسان هنا عامة، لذا استثني منها).

والمطلق لا يصح الاستثناء منه؛ لأنه لا يعم إلا واحدًا، والواحد كيف يستثنى منه؟ فإذا قلت: إن إنسانًا خاسرًا، فلا يصح الاستثناء منه (لأن لفظة إنسان هنا مطلقة)، إلا إذا أردت أن آتي باستثناء منقطع، فأقول: إلا إنسانًا فيه كذا وكذا. (شرح الأصول من علم الأصول لابن عثيمين ١ / ٣٢٠، ٣٢١).

مراتب المقيد: باعتبار قلة القيود وكثرتها، فما كانت قيوده أكثر كانت رتبته في التقييد أعلى، وهو فيه أدخل، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التوبة: ٥]. أعلى رتبة في التقييد من قوله: ﴿ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ ﴾، فقط. (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ١ / ١٢٩].

العمل بالمطلق والمقيد: يجب العمل بالمطلق على إطلاقه إلا بدليل يدل على تقييده، كما أنه يجب العمل بالمقيد إلا إذا قام دليل على إلغائه، لأن العمل بنصوص الكتاب والسنة واجب على ما تقتضيه دلالتها حتى يقوم دليل على خلاف ذلك.

فإذا ورد نص مطلق وآخر مقيد، وجب تقييد المطلق به، لكن هذا التقييد له حالات.

أثر قرائن السياق في حمل المطلق على المقيد:

القيد إما أن يأتي قرينة متصلة باللفظ، وإما أن يأتي قرينة منفصلة عن اللفظ.

أولاً: إذا كانت القرينة متصلة، فإنه يجب إعمال القيد.

مثال (١): قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾ [المجادلة: ٣]. فقيَّد الصيام في الآية ﴿ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ بالتتابع، فلو صامها متفرقات لم يجزئه ذلك.

[فائدة: اختلف أهل العلم فيمن صام ثم انقطع تتابعه فأفطر، فقال بعضهم: إذا كان الإفطار لعذر فزال العذر بنى على ما مضى من الصوم، يعني يستكمل ما كان قبل عذر إفطاره –، وقال آخرون: بل يستأنف – يعني يبدأ صوم الشهر من جديد مرة أخرى – لأن من أفطر بعذر أو بغير عذر لم يتابع صوم شهرين، ثم ذكر الطبري من قال ذلك من

الفريقين، ورجّح أن يبني المفطر بعذر، ويستقبل المفطر بغير عذر (أي يبدأ صيامه من جديد) لإجماع الجميع على أن المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين فإنها تبني على ما كان قبل الحيض، والحيض عذر من قبل الله، وكذلك كل عذر كان من قبل الله فمثله. [تفسير الطبري ٢٣ / ٢٣٤ بتصرف يسير].

- وذلك بخلاف قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]، حيث أطلق الأيام ولم يقيدها بالتتابع، فإن صامها متفرقات أو متتابعات أجزأه ذلك، لأن اللفظ مطلق فلك الخيار.

مثال (٢): في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

قيَّد الصيام في الآية، ففي الثلاثة أيام قيدها بقوله تعالى: ﴿ فِي الْحَجِّ ﴾، فلا تجزئ إن صامها في غير أيام الحج.

مثال (٣): قال الله تعالى: ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣].

- القيد في الآية: ﴿ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾، فالرجل يجوز له أن يتزوج ابنة المرأة التي عقد عليها ولم يدخل بها.

ثانيًا: إذا كانت القرينة منفصلة

أما إذا جاءت القرينة - القيد - منفصلة عن اللفظ، بأن يجيء المطلق في لفظ والقيد في لفظ آخر، فهذا له أربع حالات:

الحالة الأولى: أن يتحد الحكم والسبب في الموضعين، فيجب حمل المطلق على المقيد اتفاقًا.

مثال: قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ [المائدة: ٣].

مع قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فلفظ الدم في الآية الأولى مطلق، وفي الآية الثانية مقيد بالمسفوح، فهنا يحمل المطلق على المقيد باتفاق، لأن الحكم واحد: وهو حرمة الدم، والسبب واحد، وهو بيان حكم المطاعم المحرمة في الآيتين والدم فيهما واحد. [تيسير علم أصول الفقه للجديع ٢ / ٧٦ - ٧٧].

- ومعنى ذلك أن الدم لا يكون حرامًا إلا إن كان مسفوحًا.

[فائدة: لفظ الدم اسم جنس محلى بأل، وهو من صيغ العموم، فيكون عامًا لا مطلقًا، ويجاب عن هذا: بأنه عام في الدم القليل والكثير، أما من حيث صفات الدم الأخرى فهو مطلق، وجاء تقييده في الآية الأخرى، فصار من قبيل المطلق والمقيد].

مثال (٢): قوله ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: من لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل من الكعبين. [متفق عليه].

مع قوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما بعرفة - في حجة الوداع -: السراويل لمن لم يجد الإزار، والخفين لمن لم يجد النعلين. [متفق عليه].

فالقاعدة تقتضي حمل المطلق على المقيد باتفاق، لاتحاد الحكم والسبب، فالحكم: هو لبس الخف لمن لم يجد النعل، والسبب: هو الإحرام.

[فائدة: اختلف أهل العلم في مسألة قطع الخفين، فمنهم من قال بالقطع لحمل المطلق على المقيد، ومنهم من قال بعدم القطع، وسبب الخلاف ليس بسبب حمل المطلق على المقيد إذا اتحدا في الحكم والسبب وإنما سبب الخلاف قاعدة أخرى وهي: إذا جاء المطلق متأخرًا عن المقيد فهل يحمل عليه أم يكون ناسخًا له لتأخره ؟

فذهب بعض أهل العلم إلى أن المطلق إذا تأخر ينسخ المقيد المتقدم، وهذا مذهب الحنفية ورواية عن أحمد، وقالوا بعدم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة، والنبي ﷺ أطلق الخفين دون قطع في عرفات في حجة الوداع، قال ابن القيم: لأن الحاضرين معه بعرفات من أهل اليمن ومكة والبوادي لم يشهدوا خطبته بالمدينة (التي ذكر فيها قطع الخفين)، فلو كان القطع شرطًا لبينه لهم لعدم علمهم به، ولا يمكن اكتفاؤهم بما تقدم من خطبته بالمدينة.

ومن هنا قال أحمد ومن تابعه: إن القطع منسوخ بإطلاقه بعرفات للبس، ولم يأمر بقطع في أعظم أوقات الحاجة. [بدائع الفوائد ٣ / ٢٥٠].

لكن الإمام أحمد له رواية أخرى: أن يقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين، وهذا مذهب الجمهور. قال ابن قدامة: والأولى قطعهما، عملاً بالحديث الصحيح، وخروجًا من الخلاف، وأخذًا بالاحتياط. (المغني ٥ / ١٢٢)].

الحالة الثانية: أن يختلف الحكم والسبب في

الموضعين، وهنا لا يحمل المطلق على المقيد اتفاقًا.

مثال: قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

فلفظ الأيدي جاء مطلقًا في الآية الأولى، ومقيدًا في الآية الثانية، لكن اختلف الحكم والسبب في الآيتين: حكم الأولى: وجوب قطع الأيدي، وسببها: السرقة.

بينما الحكم في الثانية: وجوب غسل الأيدي، وسببها القيام إلى الصلاة.

فعلاقة التأثير منعدمة بين الحكمين، فلا يصح حمل المطلق على المقيد، قولاً واحدًا. [تيسير علم أصول الفقه للجديع ٢ / ٧٧، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١ / ٢٥٢- ٢٥٥، معالم أصول الفقه للجيزاني ١ / ٤٤٥ -٤٤٦- بتصرف].

الحالة الثالثة: أن يتحد الحكم ويختلف السبب في الموضعين:

وذلك مثاله قوله تعالى في كفارة الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣].

مع قوله تعالى في الآية الأخرى في كفارة القتل الخطأ: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢].

- فالحكم في الآيتين واحد: وهو عتق الرقبة، لكن السبب مختلف، ففي الآية الأولى السبب هو الظهار. بينما في الآية الثانية السبب: هو القتل الخطأ.

وهذه الصورة وما يشبهها وقع الخلاف فيها على ثلاثة أقوال:

أ- حمل المطلق على المقيد بطريق اللغة، أي: تقييد الحكم المطلق بما ذكر في الدليل المقيد، ذهب إلى ذلك بعض الشافعية وبعض الحنابلة.

ب- حمل المطلق على المقيد بطريق القياس إذا توافرت شروطه، وذهب إليه بعض علماء الحنابلة، كأبي الخطاب وغيره.

جـ- عدم حمل المطلق على المقيد، وبقاء كل من الحكمين على حاله، وهو مذهب الحنفية.

- ولعل الراجح - هو حمل المطلق على المقيد، وهذا قال به جمهور العلماء.

- مثال (٢): قوله تعالى في سورة البقرة آية المداينة عن الشهود: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

مع قوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

- ولا خلاف في اشتراط العدالة في الشاهدين، ولكن بعض العلماء أخذ ذلك من حمل المطلق على المقيد، وبعضهم بدليل آخر كالقياس.

الحالة الرابعة: أن يتحد السبب ويختلف الحكم في الموضعين:

مثال ذلك قوله تعالى في الوضوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

مع قوله تعالى في التيمم: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

فلفظ الأيدي ورد في الآية الأولى مقيدًا ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، بينما ورد في الآية الثانية مطلقًا «وأيديكم».

فالسبب في الحالتين واحد: وهو القيام إلى الصلاة، لكن الحكم مختلف في الآيتين، فالحكم في الآية الأولى هو: وجوب الوضوء، بينما الحكم في الآية الثانية: وجوب التيمم للصلاة عند فقد الماء.

فلا يصح في هذه الحالة أن يُقال: تمسح الأيدي في التيمم إلى المرافق، حملاً للمطلق في نص التيمم على المقيد في نص الوضوء، لذا فالجمهور على عدم تقييد التيمم بالقيد الوارد في الوضوء.

- وهناك قرينة أخرى منفصلة جاءت في سنة النبي ﷺ، وذلك قول النبي ﷺ لعمار بن ياسر: إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك على الأرض، ثم تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك. [متفق عليه].

فالسنة هنا قيدت لفظ: «وأيديكم» في التيمم: بالكفين فقط، مع اتحاد الحكم والسبب - كما سبق - فيجب حمل المطلق على المقيد في هذه الحالة.

- أما ما جاء من أحاديث في أن التيمم إلى المرفقين فلا يصح منها شيء. [الكلمات النيرات في شرح الورقات لمشهور حسن ٨ / ٣٧- ٣٩ بتصرف، وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ١ / ٢٥٢-٢٥٥].

والحمد لله رب العالمين، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



إعداد/ محمد فتحي عبدالعزيز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

فإن الصحابة رضوان الله عليهم هم نَقَلة الدين، وحُرَّاس الشريعة، ثبتت بهم حجةُ الله تعالى على المسلمين، وهم خير القرون، وخير أمة أُخرجت للناس؛ ثبتت عدالتهم جميعًا بثناء الله عز وجل عليهم، وثناء رسوله £ ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه؛ قال الله تعالى ذكره: ° مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ¯ [الفتح: ٢٩].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَخَصَّهُ، أَوْ قَالَ: بَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ اطَّلَعَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِهِ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ». [الطبراني في الكبير ٨٥٠٣، وحسنه الألباني في شرح الطحاوية ٥٣٠].

فالصحابة آمنوا بالنبي £ حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم؛ حتى أدخلوهم في الإسلام.

فهم أقوام باعوا أنفسهم لله ورسوله، تركوا أوطانهم وأموالهم وأولادهم؛ ليهاجروا إلى رسول الله £ ، وقاتلوا معه حتى افتدوه بأنفسهم، وأحبوه حبًّا ملك عليهم شغاف

قلوبهم؛ فبذلوا لأجله الغالي والنفيس، حتى كانوا يقتتلون على فضل وضوئه. [البخاري ٢٧٣٢]

فأصحاب محمد £ هم أفضل أصحاب لأفضل نبيٍّ، وخاصة الخلفاء الأربعة الراشدين المهديين، ومن بعدهم بقية العشرة، ثم أصحاب بيعة الرضوان، ثم بقية الآل والأصحاب رضي الله عنهم أجمعين.

قال الله تعالى: ° وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ˝ [التوبة:١٠٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم» [تفسير ابن كثير٤ / ٢٠٣].

وقال الله تبارك وتعالى عن المهاجرين: ° لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ˝ [الحشر: ٨].

وقال سبحانه وتعالى عن الأنصار: ° وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ˝ [الحشر: ٩].

وقال عن الذين جاءوا من بعدهم من المؤمنين: ° وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ˝ [الحشر: ١٠].

والصحابة صفوة خلق الله تعالى بعد النبيين -عليهم الصلاة والسلام- فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ° قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ˝ [النمل:٥٩] قال: أصحاب محمد £ . [رواه الطبري ٢٠ / ٢، والقرطبي ١٣ / ٢٢٠ وانظر الاستيعاب ١ / ١٣، وبذلك فسرها سفيان الثوري، انظر الحلية لأبي نعيم ٧ / ٧٧، وابن عساكر ٢٣ / ٤٦٣].

وقال سفيان في قوله عز وجل: ° الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ˝ [الرعد: ٢٨]، قال: هم أصحاب محمد £ . [رواه سعيد بن منصور ٥ / ٤٣٥].

وقال قتادة في قوله تعالى: ° يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ˝ [البقرة:١٢١] هم أصحاب محمد £ آمنوا بكتاب الله، وعملوا بما فيه. [فتح الباري ١٣ / ٥٠٨].

وفضائلهم في السُّنَّة أكثر من أن تُحصى، لكن أشير لبعضها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ £ «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ». [رواه البخاري ٣٤٧٠، ومسلم ٢٥٤٠ واللفظ له].

وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة، وضيق الحال، بخلاف غيرهم؛ ولأن إنفاقهم كان في نصرته £ ، وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم.

وقال تبارك وتعالى: ° لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ˝ [الحديد:١٠]، وهذا كله مع ما كان فيهم في أنفسهم من الشفقة، والتودد، والخشوع، والتواضع، والإيثار، والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا

يوازيها عمل، ولا تُنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. اهـ [شرح مسلم للنووي ١٦ / ٩٣، وشرح سنن ابن ماجه ١ / ١٥، وتحفة الأحوذي ١٠ / ٢٤٦].

ومعنى الحديث: «لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أُحُد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مُدّ طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص، وصدق النية مع ما كانوا عليه من القلة، وكثرة الحاجة والضرورة» اهـ. [فتح الباري ٧ / ٣٤].

وقيل: «السبب فيه أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام، وإعلاء كلمة الله ما لم يثمر غيرها، وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين؛ لقلة عدد المتقدمين، وقلة أنصارهم، فكان جهادهم أفضل؛ ولأن بذل النفس مع النصرة، ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها» ا.هـ [تحفة الأحوذي ٨ / ٣٣٨].

ومما جاء في فضلهم رضي الله عنهم حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». [رواه البخاري: ٢٥٠٩، ومسلم ٢٥٣٣].

«وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام» ا.هـ [التمهيد ٢٠ / ٢٥١، فيض القدير ٣ / ٤٧٨].

ومما جاء في فضلهم ما رواه أبو بردة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ للسَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَت النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ». [مسلم ٢٥٣١].

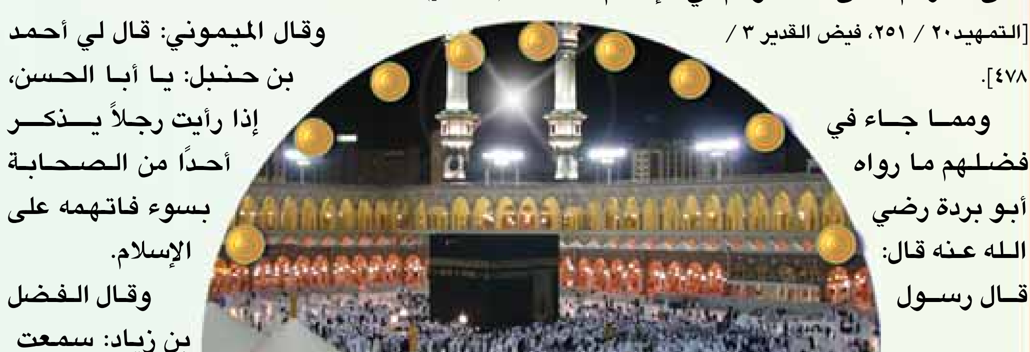
وفي الحديث إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة؛ من طمس السنن، وظهور البدع، وفشو الفجور في أقطار الأرض. [تحفة الأحوذي ١٠ / ١٥٦، فيض القدير ٦ / ٢٩٦].

أما ما حصل بين الصحابة من الاختلاف والاقتتال: فيجب علينا الكفّ عنه، مع اعتقاد أنهم أفضل الأمة، كما يجب علينا محبتهم والترضي عنهم، وعلى هذا تتابعت كلمة أهل السنة والجماعة.

فقد سُئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن علي وعثمان والجمل وصفين وما كان بينهم؟ فقال: «تلك دماء كفَّ الله يدي عنها، وأنا أكره أن أغمس لساني فيها». [الطبقات الكبرى: ٥ / ٣٩٤].

وسأل رجلُ الإمام أحمد بن حنبل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله، هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه فقال: اقرأ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي (ص١٢٦)].

وقال الإمام أحمد أيضًا بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: «ما أقول فيهم إلا الحسنى» [مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي (ص١٦٤)].



وقال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام.

وقال الفضل بن زياد: سمعت

أبا عبد الله يُسأل عن رجل تنقَّص معاوية وعمرو بن العاص، أيُقَال له رافضيّ؟ فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحدٌ أحدًا من الصحابة إلا وله داخلة سوء. انتهى. [البداية والنهاية: (٨ / ١٣٩)].

وقال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله £ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول £ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله £ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة» انتهى [الكفاية في علم الرواية (ص ٤٩)].

وقال القرطبي: «لا يجوز أن يُنسَب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به؛ إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكفّ عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر؛ لحرمة الصحبة، ولنهي النبي £ عن سبّهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم».انتهى. [تفسير القرطبي (١٦ / ٣٢١)].

وقال ابن أبي زيد القيرواني وهو بصدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله £ ، وما ينبغي أن يُذكَروا به قال: «وأن لا يُذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يُلتمس لهم أحسن المخارج، ويُظن بهم أحسن المذاهب» انتهى. [عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢ / ٧٣٤)].

وقال أبو عبد الله بن بطة -رحمه الله- أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: «ومن بعد ذلك نكفّ عما شجر بين أصحاب رسول الله £ ؛ فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه، وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد قد وُضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم». [كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص٢٦٨].

وقال أبو عثمان الصابوني وهو بصدد عرض عقيدة السلف وأصحاب الحديث:

«ويرون الكفّ عما شجر بين أصحاب رسول الله £ ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا ونقصًا فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم». [عقيدة السلف وأصحاب الحديث- ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١ / ١٢٩)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله £ ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ˚ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ˝ [الحشر:١٠].

وطاعة النبي £ في قوله: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ» [البخاري ٣٤٧٠، ومسلم ٢٥٤٠ واللفظ له].

وللحديث بقية إن شاء الله وقدر، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

□□□
□□

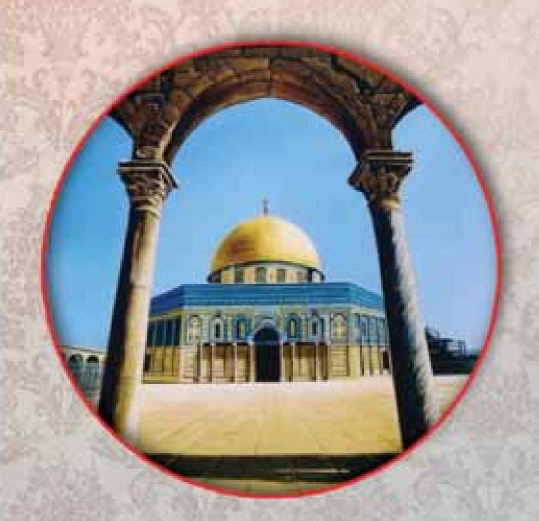


عيسى عليه السلام

الحلقة الثالثة

٣- مولده عليه السلام

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد



الحمد لله ذي الحكمة البالغة والقدرة المقتدرة، والصلاة والسلام على نبيه الخاتم، وعلى آله وأصحابه المتقين البررة، أما بعد:

فيا أيها الأخ المبارك انتهينا معك في اللقاء السابق من ذكر قصة ولادة عيسى عليه السلام، وكيف صاحبت عناية الله مريم، ورأينا كيف كانت الملائكة تحوطها في حلِّها وترحالها، وكيف كان روح القدس جبريل - عليه السلام - يخاطبها، ولما عادت إلى قومها فاتهموها أنطق الله عيسى، وهو في المهد، بكلمات من نور تعلن عبوديته لله رب العالمين، وتبشِّر برسالته ودعوته التي سيرحم الله بها من اتبعه، وتعلن براءة أمِّه مريم مما نسبه اليهود إليها كذبًا وبهتانًا.

واليوم أخي الكريم نقف وقفة نتأمل فيها هذه القصة العظيمة من خلال تعقيب القرآن الكريم عليها، فما أحسن كلام الله وما أعظمه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤-٣٥].

والكلام هُنا موجَّه إلى النبيِّ محمد ﷺ، وإلى أمَّته يخبرهم فيه الخبر الحق عن عيسى ابن مريم، الذي تكلم بهذا الكلام في المهد، وقد سجَّله الله قرآنًا يُتلى إلى يوم الدين، يُعلن للناس الحقيقة في عيسى ابن مريم وأمِّه، تلك الحقيقة التي اختلف فيها اليهود الذين سمعوا وشاهدوا، والنصارى الذين جاءوا من بعدهم.. وأخبرهم بأصل الدِّين الذي جئتَ به، والذي جاء به عيسى، وأعلنه وهو في المهد، وعاش عليه، ومات عليه، وسيُبعث عليه، وهو الذي جاء به موسى وإبراهيم ونوح، وكل نبي، وهو المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٦].

فمن أراد الله به خيرًا وفَّقه إلى ذلك الأمر من التوحيد والعبادة الصحيحة، وهو -مع الأسف- ما اختلف فيه أهل الكتاب من قبلنا، وقد أخبرنا الله بذلك بعد هذه الآية مباشرة؛ فقال تعالى:

﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧]، أي: فاختلفت الفرق من أهل الكتاب في شأن عيسى، فاليهود قالوا: إنه ساحر، وقالوا: إنه ابن يوسف النجار. والنصارى اختلفت فرقهم فيه: فقالت النسطورية: هو ابن الله. وقالت الملكية: هو ثالث ثلاثة. وقالت اليعقوبية: هو الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، وهذا الذي قال به هؤلاء هو الكفر بعينه؛ لذا قال الله تعالى معقبًا على اختلافهم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، نعوذ بالله من الضلال وأهله، ومن الاختلاف الذي يؤدي بأهله إلى الكفر أو ما دونه.

وسنحاول بعون الله فيما يلي أن نبين رواية الأناجيل واختلاف بعضها مع بعض من جانب، ورواية القرآن الكريم كلام رب العالمين من جانب آخر.

أولاً: وصف مولد عيسى في الإنجيل:

أخي الكريم: رأيت تلك الصورة المشرقة لميلاد عيسى ابن مريم عليه السلام، وكيف أحاطت عناية الله سبحانه بأمه منذ مولدها حتى وضعت عيسى، وبعد وضعه وفي أثناء النفاس، وكيف أجرى الله لمريم نهرًا يجري الماء فيه صافيًا، وأنزل عليها رطبًا جنيًا، وأنطق عيسى في المهد ليعلن براءتها وشرفها، فباسم الله حملت، وباسمه سبحانه وضعت، وبإذنه تعالى نطق عيسى في المهد مدافعًا عنها، هذه الصورة الكريمة العزيزة التي رأيناها في القرآن لا تظهر أكثر إلا إذا رأينا ضدها في الإنجيل، فماذا قالت الأناجيل عن ميلاد عيسى عليه السلام؟!

أ- قال إنجيل متى: «وهذه سيرة ميلاد يسوع المسيح: كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، فتبين قبل أن تسكن معه أنها حبلى من روح القدس، وكان يوسف رجلاً صالحًا، فما أراد أن يكشف أمرها، فعزم على أن يتركها سرًا، وبينما هو يفكر في هذا الأمر ظهر له ملاك الرب، وقال له: "يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأة لك، فهي حبلى من روح القدس، وستلد ابنًا تسميه (يسوع)؛ لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم». ثم قال: «فلما قام يوسف من النوم عمل بما أمره ملاك الرب، فجاء بامرأته إلى بيته، ولكنه ما عرفها حتى ولدت ابنها فسماه يسوع». (متى ٢٤، ٢٥).

ب- وفي إنجيل لوقا: «وفي تلك الأيام أمر القيصر أوغسطس بإحصاء سكان الإمبراطورية». ثم قال: «وصعد يوسف من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى بيت لحم مدينة داود؛ لأنه كان من بيت داود وعشيرته؛ ليكتتب مع مريم خطيبته، وكانت حبلى، وبينما هما في بيت لحم، جاء وقتها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته [أي شدته برباط]، وأضجعته في مذود؛ لأنه كان لا محل لهما في الفندق».

ج- ونعود إلى متى ليقول لنا: «ولما وُلد يسوع في بيت لحم اليهودية على عهد الملك هيرودس جاء إلى أورشليم مجوس [أي: علماء فلك من بابل] من المشرق، وقالوا: أين المولود ملك اليهود؟ رأينا نجمه في المشرق فجئنا لنسجد له».

ثم نعود إلى متى:

قال: تحت عنوان: (الهروب إلى مصر): «وبعدما انصرف المجوس ظهر ملاك الرب ليوسف في الحُلْم وقال له: (قم، خذ الطفل وأمَّه، واهرب إلى مصر، وأقم فيها حتى أقول لك متى تعود؛ لأن هيرودس سيبحث عن الطفل ليقتله»، فقام يوسف وأخذ الطفل وأمه ليلاً، ورحل إلى مصر فأقام فيها إلى أن مات هيرودس؛ ليتم ما قال الرب بلسان النبي: «من مصر دعوت ابني». (متى: ٢- ١٣ / ١٥).

ثانيا: نلاحظ من روايات الأناجيل ما يلي:

- أنه بالمقارنة بين رواية (متى) ورواية (لوقا) لميلاد المسيح في الجزء الثاني من كليهما [بعد قراءة النصين كاملين؛ لأنني نقلت الروايات مختصرة خشية الإطالة] نلاحظ ما يلي:

١- يُفهم من رواية (متى) أن يوسف النجار ومريم هربا بالمسيح إلى مصر بعد ولادة المسيح؛ لأن هيرودس كان يريد قتل المسيح.

٢- بينما يشير لوقا إلى عكس ذلك تمامًا؛ فقد ذكر لوقا أن مريم والمسيح ويوسف النجار لم يغادروا أرض فلسطين، وكانوا يترددون ما بين الناصرة وبيت لحم وبيت المقدس، ولم يذهبوا إلى مصر.

﴿ رواية القرآن ترتفع بمريم ووليدها الكريم إلى درجات عالية من السمو والتكريم، فهما في صحبة الملائكة في كل وقت، وفوق الجميع ولاية ورعاية الحي القيوم ﴾

٣- ومن رواية (متى) يُعلم أن أهل أورشليم وهيرودس كانوا معادين للمسيح.

٤- ومن رواية (لوقا) وكلامه نفهم أيضًا أنه لم تكن عداوة ألبتة بين أهل أورشليم والمسيح، ولا بين هيرودس والمسيح، بل كان الجميع يرحب به، وقد ذكر (لوقا) قصة الرجل الصالح (سمعان) الممتلئ بروح القدس، والذي جاءته نبوءة أنه لن يموت قبل أن يرى المسيح، وقد حمله بين ذراعيه وفرح به، وأخبر الناس عنه حين كان المسيح مع أمه ويوسف النجار في إحدى زياراتهم لبيت المقدس، فلو كان أهل أورشليم وهيرودس معادين للمسيح لما استطاع ذاك الرجل الصالح أن يخبر بالمسيح وأورشليم دار السلطة والحكم لهيرودس.

ثالثًا: وإذا حاولنا أن نقارن بين رواية القرآن والأناجيل نلاحظ ما يلي:

١- لم تُشر الأناجيل من قريب ولا من بعيد إلى كلام عيسى في المهد، وهو عمدة في الموضوع، ففيه براءة مريم مما نسبه اليهود إليها، وفيه إثبات عبوديته لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وفيه إثبات نبوته ورسالته ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾.

٢- خلو الأناجيل من الإشارة إلى هذا الحدث مع ظهوره وشيوعه يدل على أن أصابع اليهود ومن وافقهم من الضالين كانت وراء ذلك.

٣- ولو كان عيسى لم يتكلم في المهد لسارعوا بإقامة حدِّ الزنا على مريم، وخصوصًا أنهم كانوا يتمنون ذلك، وهم أصحاب السلطة والقرار، وفي أيديهم التوراة فيها حكم الله، لكن - والله أعلم - ما منعهم من ذلك إلا هذه المعجزة الباهرة، وهي كلام عيسى في المهد، والذي سجَّله القرآن بأحرف من نور ليحق الله الحق ويبطل الباطل.

٤- رواية القرآن ترتفع بمريم ووليدها الكريم إلى درجات عالية من السمو والتكريم، فهما في صحبة الملائكة في كل وقت، وفوق الجميع ولاية ورعاية الحي القيوم الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

٥- في رواية الأناجيل نرى عيسى المسيح وقد وُلد في حظيرة للحيوانات، ووُضع في مذود لطعام الأغنام.

أين ذلك من صحبة ملائكة الرحمن، ومن النهر الذي أجراه الله تحت قدمي مريم أثناء الولادة، ومن الرطب الجنيِّ الذي تساقط عليها كالمطر؟!! قال الله: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾.. فطعام وشراب وطمأنينة برعاية رب العالمين.

٦- لم يشر القرآن الكريم لا من قريب ولا من بعيد إلى يوسف النجار، ولم يرد ذكره في أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة، ولم يذكر عداوة هيرودس لعيسى المسيح، ولم تأت إشارة إلى رحلته إلى مصر لا في القرآن ولا السنة.

وفي ختام هذه الوقفة قد يطرح البعض سؤالاً: لماذا خلق الله سبحانه عيسى من غير أب؟

نجيب إجابة مختصرة عن ذلك: بأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك فتنة واختبارًا؛ أخفق فيه وضلَّ من لا يؤمن بقدرته ومشيئته، وأنه سبحانه يخلق ما يشاء ويختار، وهدى الله فيه المؤمنين إلى الحق؛ لأنهم يؤمنون بأسماء الله وصفاته، وأنه سبحانه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، يخلق ما يشاء ويختار، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.[هذا ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع مثلاً كتاب محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبي زهرة، رحمه الله، أو لكتب التفاسير وكتب التاريخ والسير].

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل، وإلى لقاء أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فقد شرع الله تعالى سنة الثواب والعقاب، وجعل الثواب لمن أحسن وأناب، ثم كان العقاب لمن حاد عن الصواب، بعد ما نُصِحَ فما استجاب.

لكنه سبحانه أمر بالتدرج عند التقويم والإصلاح؛ بحيث يكون الضرب آخر الوسائل التي يلجأ إليها الزوج أو المربي، ويكون أيضًا علاجًا لمرضٍ، فإذا ذهب المرض فلا حاجة لهذا العلاج من أصله.

وعلى هذا فالضرب ضرورة يلجأ إليها الرجل بعد أن يكون قد استنفد كل الوسائل المتاحة، والسبل المباحة من موعظة، ونصح، ثم هجر للمرأة في مضجعها في حالة نشوزها وعصيانها، أو تكرر الخطأ منها بلا اكتراث ولا اهتمام.

وهو كذلك آخر مرحلة يضطر إليها الزوج؛ نظرًا لما قد ينتج عنه من زيادة المشاكل، بسبب ضربة خاطئة، أو تجاوز الحدود الشرعية في الضرب.

قال تعالى: ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤].

وقال ﷺ: «.. فاضربوهن ضربًا غير مُبَرِح..» [مسلم ١٢١٨]. وليس النساء أمام الضرب سواءً؛ فليست الوضيعة كالرفيعة (أي في المنزلة)، وليست الحَيِيَّة كالجريئة، ولا الجانية كالبريئة، فمن النساء من تكفيها النصيحة، وتستحي بمجرد مراجعتها. ومثل هذه فإن اللجوء إلى ضربها عند الخطأ ربما شقَّ قلبها وفتت كبدها، وإذا تكرر ذلك فربما أصابتها حالة نفسية يصعب علاجها فيما بعدُ.

ومن النساء من تتحمل الضرب بشرط ألا يكون في حضرة الأقارب أو الأجانب، فإذا حضروه اشتاطت غضبًا وازدادت خطأً، وعلى الزوج أن يراعي ذلك، فإن لم يكن الزوج حصيفًا حليمًا بحيث يراعي هذه الجوانب النفسية؛ فإنه بلا شك يقود السفينة للغرق، والحياة الزوجية للفشل. ومن النساء من يُصلحها الضرب أحيانًا، ولكن يراعى حدود الشرع في ذلك.

حدود الضرب ونوعه

أولاً: لا يكون الضرب على الوجه؛ لأنه يهينها، والوجه موضع تكريم، وبه موضع السجود للرب الكريم. قال ﷺ: «ولا تضرب الوجه» [صحيح أبي داود للألباني ٢١٤٢].

ثانيًا: ألا يكون في مواضع حساسة من جسد المرأة.

ثالثًا: ألا يكون مبرِّحًا، أي شديدًا؛ لقوله ﷺ:



«..فاضربوهن ضربًا غير مبرح..» [مسلم ٢١١٨]، قال ابن عباس وغير واحد: غير مبرح يعني غير مؤثر. وقال الفقهاء: هو ألا يكسر عضوًا ولا يؤثر فيها شيئًا.

وعليه فالذي يضرب زوجته حتى تحمر عينها، أو تتورم شفتها، أو تُكسر سنها، أو يزرَقّ جلدها فإنه مخالف مخالفة صريحة لرسول الله £ ، فليُصلِح نفسه قبل أن يُصلح امرأته.

رابعًا: أن يكون على قدر الخطأ. فليس كل خطأ، ولو كان صغيرًا، تقام له مجلدة للمرأة. والله تعالى يقول: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾.

وليعلم الزوج حين يضرب زوجته أنه مُؤدِّب ومُصلح، وليس خصمًا وندًا، وفرق شاسع بين الاثنين، فالمؤدب يحاول إصلاح زوجته مراعيًا في ذلك تفادي المفاسد التي تنتج عن ضربها، وهو بذلك يريد أن يحقق بذلك مصلحة، وهي الوصول بزوجته إلى طاعته، أما إذا وقف منها موقف الخصم، واستخدم الشدة بكل معانيها، وصبَّ عليها جامَّ غضبه، فإنه يضرب ولا يدري أين وقعت يده، ويركل ولا يدري ماذا أصابت رجْله، ويسبّ ولا يدري ماذا قال، وتسأله المسكينة أن يكفّ فلا يسمع سؤالها، وتستغيث فلا يغيثها، وتبكي وتصرخ فلا يرحم دموعها وصراخها، بل ربما تمزقت ثيابها وسال دمها، والذي يعامل امرأته بهذا الأسلوب سيفشل لا محالة، وصلاح زوجته استحالة.

لذلك حذر الله تعالى عند ضرب النساء من التمادي في العقاب إذا أعلنت المرأة أي إعلان يدل على التراجع والطاعة، فقال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: فإذا أطاعت المرأة زوجها فيما يريد منها مما أباحه الله له منها؛ فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ تهديد للرجال إذا بغوْا على النساء في غير سبب؛ فإن الله تعالى الكبير وَلِيُّهن، وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.

فهل يخاف الضرَّابون ربَّهم؟!

وفي غالب الأحيان فإن الذي يكثر من ضرب امرأته يجعلها تتعودُ الضربَ وتستأسد، فتتحول من قطة إلى أسد، فربما مدت يدها عليه حال ضربها، فإن لم تمد يدها فلن يسلم من لسانها ودعواتها عليه، ومثل هذه الزوجة تكره زوجها، ولا تتمنى أن تراه، فهل هذه حياة؟!

والأدهى من ذلك والأمرُّ أنه ربما يكون هذا الزوج حلو اللسان مع الناس خارج البيت، شديد الحلم والتواضع، كثير المجاملات، لكن ليس لبيته من ذلك كله نصيب. قال £ : «إني أحرج عليكم حق الضعيفين، اليتيم والمرأة» [صحيح الجامع للألباني ٢٤٤٧]. يعني أُلحِق الحرج والإثم بمن يتعدى على الضعيفين.

وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي، فإذا التُمس ما عنده وُجِد رجلاً». ألا فليتق الزوج ربه في زوجته كما أوصى النبي £ بذلك فقال: «واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم» [صحيح الترمذي للألباني ١١٦٣]. أي أن المرأة أسيرة في أيديكم ليس لها بعد الله إلا زوجها، فلا ينفرد بها إلا في خير.

موقف النبي الكريم £ من ضرب النساء

في الحديث أن النبي £ «ما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب امرأة قط ولا خادمًا قط» [مسلم ٢٣٢٨]. وقد استنكر رسول الله £ على هُواة الضرب لنسائهم تلك الممارسات فقال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم» [البخاري ٥٢٠٤].

قال جابر رضي الله عنه: نهى رسول الله £ عن الضحك من الضرطة، ووعظهم في النساء أن يضرب أحدهم امرأته كما يضرب العبد أو الأمة من أول النهار ثم يعانقها من آخر النهار. [البخاري ٣٣٧٧، ومسلم ٢٨٥٥].

وبيَّن النبي £ أن توالي ضرب النساء ليس شهامة ولا مروءة ولا خصلة حميدة.

فعن إياس بن أبي ذباب قال: قال رسول الله £ : « لا تضربوا إماء الله»، فأتاه عمر – رضي الله عنه– فقال: يا رسول الله ! ذَئِرَ النساء [أي اجترأت] على أزواجهن؟! فأذِن في ضربهن، فأطاف بآل محمد نساءٌ كثير؛ كلهن يشكون أزواجهن، فقال النبي £ : لقد أطاف بآل محمد سبعون امرأة؛ كلهن يشكون أزواجهن، وليس أولئك بخياركم» [صحيح سنن أبي داود للألباني ٢١٤٦].

وقد رفض £ تزويج الضراب للمرأة، مادامت في مجال الاختيار. حدث هذا عندما تقدم معاوية لخطبة فاطمة بنت قيس، وكذلك أبو جهم، فلما استشارت رسول الله £ في الخاطبَيْن؛ فلم يوافق £ على أبي جهم وقال: «وأما أبو جهم فرجل ضرَّاب للنساء». [١٤٨٠] وفي رواية لأحمد «لا يضع عصاه عن عاتقه». [قال الألباني في غاية المرام ص٤٣٠: صحيح].

إذًا فكثرة الضرب ليست من الخُلق الحسن، وفاعلها ليس من خيار المسلمين بنص الرسول £ : «ليس أولئك بخياركم». وهو القائل أيضًا £ : «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» [صحيح

الترمذي للألباني ١٠٨٤]. وعليه، فمن رفض تزويج الضَّرَّاب للنساء؛ فإن رفضه في محله، وليذهب الخاطب بغلّه.

وكان £ عظيم اللطف بالنساء، يظهر ذلك فيما روي عنه أنه ما ضرب شيئًا قط بيده لا امرأة ولا خادمًا. [مسلم ٢٣٢٨].

وقوله لأنجشة: «رويدًا سوقك بالقوارير» [البخاري ٦١٤٩، ومسلم ٢٣٢٣].

وشبَّه £ النساء بالقارورة الزجاجية الضعيفة، سريعة الكسر والتحطيم.

فلما طلب نساؤه منه £ زيادة النفقة والمصروفات، والتوسعة في العيش جلس مهمومًا غاضبًا لزهده في الدنيا ومتاعها، «دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله £ . فوجد الناس جلوسًا ببابه. لم يؤذن لأحد منهم. فأذن لأبي بكر. فدخل. ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له. فوجد النبي £ جالسًا، حوله نساؤه. واجمًا ساكتًا. فقال: لأقولن شيئًا أُضحِك النبي £ . فقال: يا رسول الله ! لو رأيت بنت خارجة [زوجة عمر]! سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها؛ فضحك رسول الله £ وقال: «هن حولي كما ترى. يسألنني النفقة. فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها. فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها. كلاهما يقول: تسألن رسول الله £ ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله £ عن ضربهما. [مسلم ١٤٧٨].

وكان لشريح القاضي جارٌ من كندة يُفزع امرأته ويضربها، وكانت زوجة شريح مثالاً للزوجة المطيعة فأنشد يقول:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم
فَشُلَّتْ يميني حين أضربُ زينبًا
أأضربها في غير ذنب أتتْ به
فما العدلُ مني ضربُ مَن ليس مُذنبًا

الأسباب التي تجر الضرب إلى النساء

منها ما الزوجة سبب فيه، ومنها ما الزوج متورط فيه.

فمما تسبب فيه المرأة لنفسها:

١- نشوزها وعدم طاعتها، وعدم التزامها بما يُلزمها به زوجها.

٢- الامتناع عن فراشه بدون عذر.

٣- خروجها بغير إذنه.

٤- إدخالها في بيته أحدًا لا يحب هو دخوله عنده.

٥- إهمالها الحجاب أو التزين للزوج. وغير ذلك.

وهناك الأسباب من جهة الزوج منها:

١- الغيرة الشديدة في غير محلها، والناتجة عن الوسوسة؛ فبعض الأزواج يشك حتى في نفسه فيغلق جميع الأبواب والنوافذ على زوجته، ويمنعها من البروز إلى شرفة البيت ولو بحجابها، ويأمرها بما لم يأمر به الله ورسوله من التستر أمام المحارم.

٢- الخلط بين حق الزوجة وحق الأبوين، وعدم الفصل في خلافات الزوجة مع الأم بالحكمة، فتارة يُرضي أمه على حساب الزوجة، وتارة يحدث العكس. والتوسط والتثبت هو السبيل الصحيح؛ لأن البعض يكذِّب زوجته ويصدق أمه مطلقًا، والبعض يصدق زوجته ويكذِّب أمه مطلقًا، وكلا الأمرين بغيض وفيه ظلم، فأحيانًا يتهم الرجل زوجته بدون بينة، ويقول لها أمي لا تكذب، وأحيانًا يحدث العكس.

٣- خوف الرجل الشديد على أبنائه، بصورة تجعله يضرب امرأته كلما رآها تضرب أحد أولاده، أو اشتكى إليه.

وهذا خطأ شنيع يقع فيه الرجل، فحنان المرأة على أولادها معروف، فلن تضرب أبناءها إلا لضرورة.

ثم إنها تجلس مع أولادها أكثر مما يجلس الرجل، فلابد لها من أن تخيفهم وتربيهم، بل بعض الرجال يضرب زوجته لمجرد شكوى الولد لأبيه، ولهذه سلبيات خطيرة منها:

أ - أن الرجل يُجرئ بذلك ولده على أمه، ويدربه على عقوقها، وبذلك يعرضه لعذاب الله، فأيهما أهون؛ ضرب أمه له؛ أم عذاب الله للعاق؟! أين عقلك يا رجل؟

ب - لا يجوز أن يقابل ضرب الولد من أمه بضرب الرجل للمرأة، فهذا ميزان جائر.

ج - يولد هذا السلوك الكراهية بين المرأة وزوجها، بل بينها وبين أولادها، حيث صار الرجل بجبروته ومعه أبناؤه حزبًا، والمرأة الضعيفة حزبًا وحدها، وفرق كبير بين الحزبين!!

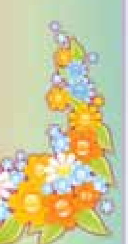
د - وفي هذا تعليم للولد كثرة الشكاية، والقيل والقال، وسوء الفعال.

هـ - وهو كذلك تعدٍّ على حق المرأة ومسئوليتها في تربية الأبناء. قال £ : «والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها» [صحيح الجامع للألباني ٤٥٦٩].

فعلى كل من الزوجين أن يعرف حدوده ويلتزمها؛ حتى تكون الحياة بينهما هنيئة رغدة، لا بذيئة نكدة، عامرة بالحب والإيمان، والجميل والعرفان.

٤- النزاع بسبب عدم وفاء الزوج بما اشترطه لزوجته:

يحدث أحيانًا عندما يخطب شاب فتاة، ويوافق أهلها على زواجها به بشرط من الشروط؛ كأن يمكِّنها من إكمال ما بقي لها من سنوات دراستها. فيوافق صاحبنا على الشرط المشروط، فإذا ذهبت إليه زوجته في بيته، منعها مما قد وافق عليه من قبل، معللاً ذلك بأنه لا يحب لزوجته أن تختلط






بالرجال في المواصلات وغيره.

وصحيح أن الإسلام حرم الاختلاط بين الرجل والمرأة؛ ولكن ليس هذا الآن مجال حديثنا، وإنما حديثنا هو: لماذا يا أخي قبلت هذا الشرط يوم أن اشترطوه عليك، وكانت بنتهم عندهم، والقبول والرفض في يدهم؟

قال: لأنني أردتُ أن أعفّ نفسي وأعفّها هي أيضًا!

طيب يا أخي، أما عن عفتها فهي لم تطلب منك ذلك، وأما عن عفتك أنت فلا تكن على حساب غيرك. ثم إن إعلانك لهم بالموافقة على الشرط، ثم نكوصك بعد ذلك؛ يُعَد في الإسلام أولاً كذباً صريحاً من غير ضرورة، ثانياً هو عدم وفاء بالعهد، فهل الكذب وعدم وفاء العهد مباح؛ والاختلاط وحده حرام؟!

وأنا هنا لا أدعو مسلماً أن يفي بشرط تبين حرمة الوفاء به؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الوفاء بالنذر إذا تبين أنه محرَّم فقال: «لا وفاء لابن آدم في معصية ولا فيما لا يملك» [مسلم ١٦٤١].

لكن السؤال لهذا الزوج يقول: بالله عليك، ألم تكن عالمًا بحرمة الاختلاط يوم خطبت زوجتك؛ فإن كنت عالمًا بذلك فلماذا وافقت على مطلب هو في اعتقادك حرام؟ وإن لم تكن عالمًا به ثم علمت، فمقتضى الشرط والعهد أن تذهب إلى أهلها وتخبرهم أنك غير قادر على الوفاء بشرطهم، أو تبين لك حُرمة تنفيذ ما التزمت به لحرمته في دين الله، وهذه ابنتكم بكامل حقوقها، وعلى استعداد أن أتحمل كافة ما تستحقونه في حدود ما يقضي به الشرع الشريف. هذا هو سلوك الصالحين العادلين. وما دمت قد احترمت تعاليم دينك لك وعليك، فسيوفر الله لك احترام الآخرين، وسيجعل الله لك مخرجًا ومتاعًا إلى حين.

كلمات قبيحة في حق المرأة

١- كثير منَ الناس إلا من رحم الله عز وجلَ يهمل المرأة ويتعالى عليها، ويعتبر أن النساء لا ينفع معها إلا هذا الأسلوب، أقول لأمثال هؤلاء ما قاله الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]. فتأملوا كيف كان رسول الله ﷺ يعامل نساءه، وكيف أوصى بسائر النساء. وأيضًا تدبروا قول الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء/ ١٩].

٢- يعتقد البعض عقيدة فاسدة عن قدر المرأة وشخصيتها، فيقول: المرأة كالنعال، تلبسه وتخلعه وقتما تشاء. ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]. فلقد كرَّم الله بني آدم وخص بزيادة التكريم المسلمين، رجالاً ونساءً.

٣- والبعض إذا أراد أن يتحدث عن امرأته قال للسامعين: زوجتي «أعزكم الله» أو «أكرمكم الله»، وهذا أيضًا تحقير لشأن المرأة ووضع لكرامتها، ولعل هذا الشعور نتج من العقيدة السابقة الفاسدة عندهم أن المرأة كالنعال.

ألم تعلموا أيها الأصحاب أن الله عز وجل قال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]. وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ [الحجرات:١١].

وكذلك قال النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره» [مسلم ١٩٨٦].

فاستوص بها يا أخي خيرًا ولا تَكْرَهْهَا ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:١٩]. والنبي ﷺ يقول: «لا يفرِكَنَّ -أي لا يبغض- مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقًا رضي منها غيره» [صحيح الجامع ٧٧٤١]. ويقول ﷺ: «إن المرأة خُلقت من ضلع، وإنك إن تُرِد إقامة الضلع تكسرها، فدارها تعش بها» [صحيح الجامع ١٩٤٤].

إن المرأة هي أم الرجل وهي ابنته، وهي أخته وهي زوجته، ولا يصلح الرجل إلا بها، كما هي لا تصلح إلا به. فلماذا التعالي عليها واحتقارها؟ والنبي ﷺ قال: «وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد» [مسلم ٢٨٦٥].

وصية للزوجين

أخي الزوج:

إذا قرأت وعرفت حقوقك على امرأتك؛ فتمهل ولا تذهب بسرعة لتقول لها: انظري إلى حقوقي عليك، وانظري إلى تفريطك فيها؛ ولكن كن منصفًا، واقرأ حقوقها عليك أيضًا، لتعلم هل أنت مؤدٍّ لها حقوقها، أم أنك أيضًا مهمل ومفرط؛ بل وربما أن تفريطك أنت هو سبب إهمالها هي وتفريطها.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: ١٣٥].

أختي الزوجة: إن ما يقال لزوجك يقال لك أيضًا، فلم ننصرك عليه، ولم ننصره عليك، ولكن أنصفنا بينكما بما علمناه من دين الله تعالى وشرعه، وهدي نبيه ﷺ.

فليتق كل منكما ربه في الآخر، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، وأنه جامع الناس ليوم لا ريب فيه، ثم تُوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب الفقه

من سنن الفطرة

الحلقة الأخيرة





إعداد: د/ حمدي طه



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تكلمنا في الأعداد السابقة عن سنن الفطرة وما يتعلق بها من أحكام، واليوم نختم الحديث عنها بسنة من السنن التى أمرنا بها النبي £ وبيَّن لنا أن أهل الملل السابقة قد انحرفوا عنها، وهي سنة إعفاء اللحية، تلك السنة التي جعلها الله من سنن المرسلين الذين اختار لهم الله أجمل وأكمل هيئة يكون عليها الرجال.

أولاً: تعريفها

١- في اللغة: اللحية: الشعر النابت على الخدين والذقن، والجمع اللِّحى واللُّحى، واللحْي واحد اللحيين، وهما: العظمان اللذان فيهما الأسنان من الإنسان والحيوان، وعليهما تنبت اللحية. [لسان العرب ١٥ / ٢٤٣].

٢- في الاصطلاح: قال العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار: المراد باللحية الشعر النابت على الخدين من عِذار وعارض والذقن. [١/ ٦٨].

ثانيًا: حكمها: اللحية سمة طيبة من سمات الرجولة والكمال، وعلامة بارزة من علامات الطاعة والإجلال، وهي من سنن الفطرة التي علَّمنا إياها رسول الله £ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله £ قال: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية...» الحديث [مسلم ٦٢٧].

ورتب عليها أحكامًا تكليفية بيَّنها رسول الله £ وحضَّ المؤمنين عليها، والتحلي بآدابها، وإعفاء اللحية هو إرسالها وتوفيرها حتى تعفو وتكثر، وهو فرض واجب فرضه رسول الله £ على كل مسلم ذكر بالغ عاقل، وأمره بإعفائها، ونهاه عن حلقها، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع أمره £، وحذرنا من مخالفة أمره، فقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ

تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الآية.

وقد ورد في إعفاء اللحية أحاديث كثيرة تدل على وجوبها، منها:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَى؛ خَالِفُوا الْمَجُوسَ». [مسلم ٦٢٦]، وفي رواية أخرى: «أرجئوا».

٢- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ» [البخاري ٥٨٩٢].

وفي رواية: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللِّحَى» [مسلم ٢٥٩].

٣- قال رسول الله ﷺ: «انْهَكُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَى». [البخاري ٥٨٩٣، ومسلم ٦٢٣].

قال الشوكاني في «نيل الأوطار»: وقد حصل من مجموع الأحاديث خمس روايات: «أعفوا»، و«أوفوا»، و«أرخوا»، و«أرجئوا»، و«وفروا». ومعناها كلها تركها على حالها. (١ / ٣٢٣).

والأحاديث السابقة صريحة في أمره ﷺ بتوفير اللحية وإعفائها، والأصل في الأمر الوجوب ولا يُصرف عنه إلا لدليل، ولا دليلَ. كما هو مقرر في علم الأصول، والنهي يفيد التحريم، ولا يُصرف عنه إلا بدليل، ولا صارفَ له هنا.

قول الأئمة الأربعة وغيرهم في اللحية

واتفق أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم على وجوب إعفاء اللحية، وتحريم حلقها، وإليك بعض ما نُقل عنهم:

قال ابن عابدين خاتمة محققي الحنفية في معرض الكلام عن أخذ ما دون القبضة من اللحية: «لم يبحه أحد». [حاشية ابن عابدين ٢ / ١١٣]، فدل ذلك على أن الحلق أشد من ذلك.

وقال العلامة الدسوقي في حاشيته: «يحرم على الرجل حلق لحيته، ويؤدب فاعل ذلك». [١ / ٩٠].

وقال في شرح العباب: «فائدة: قال الرافعي والنووي: يكره حلق اللحية، واعترضه ابن الرفعة في حاشية الكافية بأن الشافعي نص في الأم على التحريم، قال الزركشي والحليمي في شعب الإيمان، وأستاذه القفال الشاشي في محاسن الشريعة، وقال الأذرعي: الصواب تحريم حلقها جملةً لغير علة بها». [حاشيتا الشرواني وابن قاسم على شرح التحفة ٩/ ٣٧٦].

وقال العلامة السفاريني في الإمتاع وشرح المنتهى: «والمعتمد في المذهب حرمة حلق اللحية». [غذاء الألباب ١ / ٣٧٦].



دلت سنة رسول الله ﷺ الصحيحة على وجوب إعفاء اللحى، وإرخائها وتوفيرها، وعلى تحريم حلقها وقصها

وقال ابن حزم في المحلى: «إن إعفاء اللحية فرض». (٢/ ٢٢٠).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (ص١٤١): الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

فقد دلت سنة رسول الله ﷺ الصحيحة على وجوب إعفاء اللحى، وإرخائها وتوفيرها، وعلى تحريم حلقها وقصها، كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «قصوا الشوارب وأعفوا اللحى خالفوا المشركين». وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جزوا الشوارب، وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس».

وهذان الحديثان، وما جاء في معناهما من الأحاديث، كلها تدل على وجوب إعفاء اللحى، وتوفيرها، وتحريم حلقها وقصها كما ذكرنا، ومن زعم أن إعفاءها سنة يُثاب فاعلها، ولا يستحق العقاب تاركها، فقد غلط وخالف الأحاديث الصحيحة؛ لأن الأصل في الأوامر الوجوب، وفي النهي التحريم، ولا يجوز لأحد أن يخالف ظاهر الأحاديث الصحيحة إلا بحجة تدل على صرفها عن

ظاهرها، وليس هناك حجة تصرف هذه الأحاديث عن ظاهرها. اهـ.

وبعدُ: فقد تبين من أقوال أهل العلم أن إعفاء اللحية واجب، وأنه يحرم حلقها، وهذا يدل على فساد قول بعض المتأخرين: بأن اللحية لا شيء فيها.

وليس المراد بمخالفة المجوس وسائر المشركين مخالفتهم في كل شيء، ولو كان صوابًا جاريًا على مقتضى الفطرة والأخلاق الفاضلة، بل المراد مخالفتهم فيما حادوا فيه عن الحق والصواب، وخرجوا به عن الفطر السليمة والأخلاق الفاضلة، ومما انحرف فيه المجوس وسائر المشركين ونحوهم من الكافرين عن الحق، وخرجوا فيه عن مقتضى الفطرة السليمة، وخالفوا فيه سيما الأنبياء والمرسلين: حلقُ اللحية، فوجب أن نخالفهم في ذلك بإعفاء اللحية وإحفاء الشوارب، اتباعًا لهدي الأنبياء والمرسلين، وسيرًا على مقتضى الفطرة السليمة في ذلك، فقد ثبت عن رسول الله £ أنه قال: « عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ». [أحمد ٦/ ١٣٧، ومسلم: ١ / ١٥٣].

حكم الأخذ من اللحية

ذهب بعض الفقهاء، منهم النووي إلى أنه لا يُتعرَّض للحية، فلا يؤخذ من طولها أو عرضها؛ لظاهر الخبر في الأمر بتوفيرها، قال: المختار تركها على حالها، وأن لا يُتعرَّض لها بتقصير ولا غيره. [الموسوعة الفقهية ٣٥ / ٢٢٤].

وذهب آخرون منهم الحنفية والحنابلة إلى أنه إذا زاد طول اللحية عن القبضة فيجوز أخذ الزائد؛ لما ثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا حلق رأسه في حج أو عمرة أخذ من لحيته وشاربه. [مالك في الموطأ ١٤٨٤].

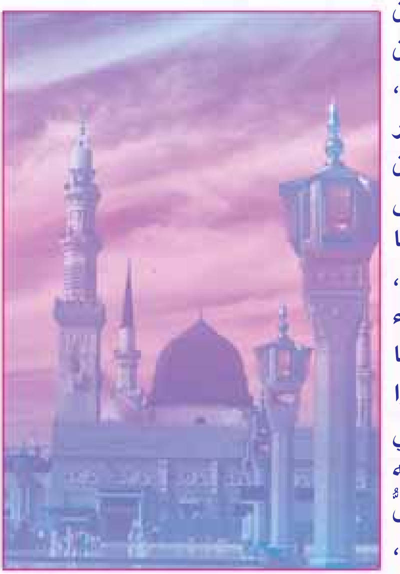
ففي الفتاوى الهندية: «القص سُنة فيهما، وهو أن يقبض على لحيته، فإن زاد منها عن قبضه شيء قطعه، كذا ذكره محمد رحمه الله عن أبي حنيفة، قال: وبه نأخذ» (٥ / ٣٥٨).

وفي شرح المنتهى من كتب الحنابلة: «لا يكره أخذ ما زاد عن القبضة منها، ونص عليه أحمد، ونقلوا عنه أنه أخذ من عارضيه». (١ / ٤٠).

وذهب آخرون إلى أنه لا يأخذ من اللحية شيئًا إلا إذا تشوهت بإفراط طولها أو عرضها، نقله الطبري عن الحسن البصري وعطاء، واختاره ابن حجر، وحمل عليه فِعْل ابن عمر رضي الله عنهما. [الموسوعة الفقهية ٣٥ / ٢٢٥].

قال ابن حجر في الفتح: «إن الرجل لو ترك لحيته لا يتعرض لها حتى أفحش طولها أو عرضها لعرَّض نفسه لمن يسخر منه، وقال عياض: الأخذ من طول اللحية وعرضها إذا عظمت حسن، بل تكره الشهرة في تعظيمها كما تكره في تقصيرها». (١٠ / ٣٥٠).

أما الأخذ من اللحية دون القبضة ففي حاشية ابن عابدين: لم يبحه أحد. [الموسوعة الفقيهة ٣٥ / ٢٢٥].



ذهب بعض الفقهاء، منهم النووي إلى أنه لا يُتعرَّض للحية، فلا يؤخذ من طولها أو عرضها؛ لظاهر الخبر في الأمر بتوفيرها

ثالثًا: بعض ما يتعلق باللحية من أحكام

أ- ما يستحب فعله:

١- العناية بها: يسن إكرام اللحية، ويكون ذلك بترجيلها - أي تسريحها - ودهنها، والعناية بها؛ لقوله £ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من كان له شعر فليكرمه». [صحيح أبي داود للألباني ٤١٦٣].

قال ابن بطال: الترجيل تسريح شعر الرأس واللحية ودهنه، وهو من النظافة، وقد ندب الشرع إليه. [فتح الباري لابن حجر ١٠ / ٣٦٨].

ويسن كذلك تطييب اللحية؛ لما ثبت عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنْتُ أُطَيِّبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ؛ حَتَّى أَجِدَ وَبِيصَ الطِّيبِ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ». [البخاري ٥٩٢٣].

٢- صبغ اللحية: يسن صبغ اللحية بغير السواد، وهو تغيير الشيب الذي في اللحية بخضابها بالصفرة والحمرة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي £ قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون -يعني شعورهم- فخالفوهم». [رواه الستة]. وفي لفظ الترمذي: «غيِّروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود» [صحيح الجامع للألباني ٤١٦٧].

قال القاضي عياض: اختلف السلف من الصحابة والتابعين في الخضاب وفي جنسه.

قال بعضهم: ترك الخضاب أفضل، وروى حديثًا عن النبي £ في النهي عن تغيير الشيب؛ لأنه £ لم يغير شيبه، وروي هذا عن ابن عمر وعلي وأبي بكر وآخرين. وقال آخرون: الخضاب أفضل، وخضب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم؛ للأحاديث الواردة في ذلك.

وقال الطبراني: الصواب أن الأحاديث الواردة عن النبي £ بتغيير الشيب وبالنهي عنه، كلها صحيحة، وليس فيها تناقض، بل الأمر بالتغيير لمن شيبه كشيب أبي قحافة، والنهي عنه لمن له شمط فقط، واختلاف السلف في فعل الأمرين، بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك، مع أن الأمر والنهي في ذلك ليس للوجوب بالإجماع، ولهذا لم ينكر بعضهم على بعض. [شرح صحيح مسلم للنووي ١٤ / ٨٠].

ب- ما يكره فعله في اللحية:

نقل النووي في المجموع عن أبي طالب المكي والغزالي عشر خصال مكروهة في اللحية نتكلم عن أهمها:

١- صبغ اللحية وخضابها بالسواد؛ إلا لغرض الجهاد إرهابًا للعدو؛ لما ثبت من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أُتي بأبي قحافة يوم الفتح ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا، فقال النبي £ : «غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد». [رواه أحمد والأربعة إلا الترمذي].

وقد ذهب إلى حرمة الصبغ بالسواد أبو حنيفة ومحمد وهو الصحيح عند الشافعية، قال النووي: اتفقوا على ذم خضاب الرأس أو اللحية بالسواد، وقال الغزالي في الإحياء والبغوي في التهذيب وآخرون من الأصحاب: هو مكروه. وظاهر عبارتهم أنه كراهة تنزيه، والصحيح بل الصواب أنه حرام، وممن صرح بتحريمه صاحب الحاوي، وقال في آخر كتابه الأحكام السلطانية: يمنع المحتسب الناس من خضاب الشيب بالسواد إلا المجاهد. [المجموع شرح المهذب ١ / ٣٤٥].

٢- تبييضها بالكبريت أو غيره استعجالاً للشيخوخة، وإظهارًا للعلو في السن؛ لطلب الرياسة والتعظيم والمهابة.

٣- نتفها في أول طلوعها، وتخفيفها بالموسي؛ إيثارًا للمرودة، واستصحابًا للصبا وحسن الوجه، وهذه الخصلة من أقبحها.

٤- ويكره للرجل ترك لحيته شعثة إيهامًا للزهد. [المصدر السابق نقلاً من كلام النووي والغزالي].

لما روي عن جابر رضي الله عنه قال: «أتانا رسول الله £ فرأى رجلاً شعثًا قد تفرق شعره، فقال: «أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره». [صحيح أبي داود للألباني ٤٠٦٢].

٥- نتف الشيب؛ لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي £ قال: « لا تنتفوا الشيب، ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت له نورًا يوم القيامة، إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة». [صحيح أبي داود للألباني ٤٢٠٢].

قال النووي: قال أصحابنا: يكره، ولو قيل: يحرم؛ للنهي الصريح الصحيح، لم يبعد، ولا فرق بين نتفه من اللحية والرأس. (المجموع ١ / ٣٤٤).

٦- عقدها؛ لحديث رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أنه من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع أو عظم؛ فإن محمدًا منه بريء». [صحيح أبي داود للألباني ٣٦].

قال الخطابي في عقدها تفسيران: أحدهما أنهم كانوا يعقدون لحاهم في الحرب؛ وذلك من زي العجم. والثاني: معالجة الشعر لينعقد ويتجعد، وذلك من فعل أهل التأنيث والتوضيع. [المصدر السابق].

والذي يظهر من لفظ الحديث أنه يحرم عقدها؛ لما ترتب على الفعل من براءة النبي £ من فاعله، ولا يكون ذلك إلا على محرم.

هذه أهم الأحكام التي تتعلق باللحية، وبها نختم حديثنا عن سنن الفطرة التي علمنا إياها رسولنا الكريم، نسأل الله العظيم أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، فهو نعم المولى ونعم النصير، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

تحذير الداعية من القصص الواهية الحلقة (١١٤)

قصة إيهام الناس ببقاء الخضر وإلياس

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذه السلسلة تقديم البحوث العلمية الحديثية لتحذير القارئ الكريم من بعض القصص الواهية؛ ولبيان حقيقة هذه الأوهام، والتي صارت معتقدًا عند المتصوفة، مما كان له الأثر السيئ في اشتهار هذه الأوهام عند العوام، بل والكثير من أدعياء العلم الذين لا دراية لهم بالإسناد، حتى أشاعوا بين الناس استمرار حياة الخضر وإلياس بقصص سنبين للقارئ الكريم عوارها، ونكشف عارها بالتخريج والتحقيق:

أولاً: ما جاء من أوهام حول استمرار حياة الخضر

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٣٤): «وجاء في اجتماع الخضر مع النبي ﷺ حديث ضعيف، أخرجه ابن عدي من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ سمع في المسجد كلامًا، فقال: «يا أنس، اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفر لي، فذهب إليه، فقال له: إن الله فضَّلك على الأنبياء بما فضَّل به رمضان على الشهور، قال: فذهبوا ينظرون، فإذا هو الخضر». قال ابن حجر: «إسناده ضعيف».

قُلْتُ: ولكن لا بد من معرفة درجة الضعف؛ حتى لا يغتر أهل البدع بقول الحافظ ابن حجر: «حديث ضعيف»، فيظن أنه يتقوى بغيره، أو يقوِّي غيره.

فإن الحافظ ابن حجر في قوله: «حديث ضعيف» قد أجمل، وعلى الباحث أن يبحث في تفصيل هذا الإجمال؛ لأن الضعف يتفاوت، وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن كثير في [اختصار علوم الحديث ص٣٤]؛ فقال: «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا، كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: ولكي نقف على درجة هذا الضعف سنقوم بتخريج هذه القصة، ثم تحقيقها:

ثانياً التخريج

القصة أخرجها الإمام ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٦٢) ++في «ترجمة»++ (١ / ١٥٩٩) قال: «حدثنا محمد بن يوسف بن عاصم، حدثنا أحمد بن إسماعيل القرشي، حدثنا عبد الله بن نافع، عن كثير بن عبد الله عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ كان في المسجد فسمع كلامًا من ورائه، فإذا هو بقائل يقول: اللهم أعنِّي على ما ينجيني مما خوفتني، فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك: ألا تضم إليها أختها، فقال الرجل: اللهم ارزقني شوقة الصادقين إلى ما شوَّقْتَهُمْ إليه، فقال رسول الله ﷺ لأنس بن مالك، وكان معه: اذهب يا أنس إليه، فقل له يقولُ لك رسول الله ﷺ: استغفر لي، فجاءه أنس فبلَّغه، فقال الرجل: يا أنس، أنت رسولُ رسول الله ﷺ إليَّ، فقال: كما أنت فرجع فاستَثْبَتَهُ، فقال رسول الله ﷺ: قل له: نعم، فقال له: اذهب فقل له: إن الله فضَّلك على الأنبياء بمثل ما فضَّل به رمضان على الشهور، وفضَّل أمتك على الأمم بمثل ما فضَّل به يوم الجمعة على سائر الأيام، فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر عليه السلام». اهـ.

ثالثا التحقيق

هذه القصة واهية، والحديث الذي جاءت به موضوع، وعلته كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزني.

أ- قال الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء

والمتروكين» رقم (٥٠٤): «متروك».
قُلْتُ: وقد اشتهر عن النسائي أنه قال: «لا يُترك الرجل عندي؛ حتى يُجمِع الجميع على تركه».
ب- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٢١): «كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزني: يروي عن أبيه عن جده، منكر الحديث جدًا، يروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب، ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب، وكان الشافعي رحمه الله يقول: كثير بن عبد الله المُزني ركن من أركان الكذب».
٣- قلت: وهذا ما أقره الذهبي في «الميزان» (٣/ ٤٠٦ / ٦٩٤٣)؛ حيث قال: «كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف قال فيه الشافعي وأبو داود: ركن من أركان الكذب، وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة». اهـ.
٤- قلت: وبهذا يصبح الحديث الذي جاءت به القصة حديثًا موضوعًا، وهو شرّ الضعيف.
قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص٢٠، ٢١): شر الضعيف: الموضوع، ويليه: المتروك، ثم: المنكر، ثم: المعلَّل، ثم: المدرَج، ثم المقلوب، ثم: المضطرب.
وكذا في «تدريب الراوي» (١ / ٢٩٥): والموضوع هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي ﷺ .
قلت: وبهذا تصبح قصة استمرار حياة الخضر قصة واهية، ومن شر أنواع الضعيف، ولا يصلح لها متابعات، ولا شواهد.

ثانيًا: ما جاء في استمرار حياة إلياس

أولاً المتن

رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فنزلنا منزلاً، فإذا رجل في الوادي يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفورة المستجاب لها، قال: فأشرفت على الوادي فإذا رجل طوله أكثر من ثلاث مائة ذراع، فقال لي: مَنْ أنت ؟ قال: قلت: أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، قال: أين هو ؟ قلت: هو ذا يسمع كلامك، قال: فأته وأقرئه مني السلام، وقل له: أخوك إلياس يقرئك السلام، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته، فجاء حتى لقيه فعانقه وسلم عليه، ثم قعدا يتحدثان، فقال له: يا رسول الله، إني إنما آكل في كل سنة يومًا، وهذا يوم فطري فآكل أنا وأنت، فنزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس، فأكلا وأطعماني وصلينا العصر، ثم ودعه، ثم رأيته مر على السحاب نحو السماء.
وأورد الإمام القرطبي في تفسيره (٨ / ١٠٠) هذه القصة من غير تخريج ولا تحقيق عن أنس قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان بفجِّ الناقة عند الحجر، إذا نحن بصوت يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة، المغفور لها، المتوب عليها، المستجاب لها، فقال رسول الله ﷺ : « يا أنس، انظر ما هذا الصوت؟» فدخلت الجبل، فإذا أنا برجل أبيض اللحية والرأس، عليه ثياب بياض، طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فلما نظر إليَّ، قال: أنت رسول النبي ؟ قلت: نعم، قال: ارجع إليه فأقرئه مني السلام، وقل له: هذا أخوك إلياس يريد لقاءك، فجاء النبي ﷺ وأنا معه، حتى إذا كنا قريبًا منه، تقدم النبي ﷺ وتأخرت، فتحدثا طويلاً، فنزل عليهما شيء من السماء شبه السفرة فدعواني فأكلت معهما، فإذا فيهما كمأة ورمّان وكرفس، فلما أكلت قمت فتنحيت، وجاءت سحابة فاحتملته فإذا أنا أنظر إلى بياض ثيابه، فيها تهوى به، فقلت للنبي ﷺ : بأبي أنت وأمي ! هذا الطعام الذي أكلنا أمن السماء نزل عليه ؟ فقال النبي ﷺ : «سألته عنه فقال: يأتيني به جبريل في كل أربعين يومًا أكلة، وفي كل حول شربة من ماء زمزم، وربما رأيته على الجبّ يملأ بالدلو فيشرب وربما سقاني».

ثانيًا: التخريج

هذه القصة أخرج حديثها الإمام الحاكم في «المستدرك» (٢ / ٦١٧) قال: «حدثنا أبو العباس أحمد بن سعيد المعداني ببخارى، حدثنا عبد الله بن محمود، حدثنا عبدان بن سيار، حدثنا أحمد بن عبد الله البرقي، حدثنا يزيد بن يزيد البلوي، حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن مكحول عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر... القصة».
وأخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» (٥ / ٤٢١) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن سعيد المعداني ببخارى به.

ثالثًا: التحقيق

١- هذه القصة واهية، وسندها تالف، ولا يغرنك قول الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، فقد عقَّب عليه الإمام الذهبي في «التلخيص» فقال: «بل موضوع، قبَّح الله واضعه، وما كنت أحسب ولا أجوِّز أن الجهل يبلغ بالحاكم إلى أن يصحِّح هذا».
٢- وجعل الإمام الذهبي علة هذا الحديث يزيد بن يزيد البلوي؛ حيث أورده في كتابه «الميزان» (٤/ ٤٤١ / ٩٧٦٣) قال: «يزيد بن يزيد البلوي الموصلي،

عن أبي إسحاق الفزاري بحديث باطل، خرَّجه الحاكم في مستدركه، ثم ذكر القصة».
ثم قال معقبًا: «فما استحى الحاكم من الله يصحح مثل هذا».
٣- قلت: وبهذا التحقيق يتبين أن القصة واهية، وسندها باطل.
وفي نقده للمتن وبيان بطلانه كما في قوله: «جاء بحديث باطل» أكبر رد على المستشرقين وغيرهم ممن لا دراية لهم بهذا العلم؛ حيث ادعوا زورًا وبهتانًا بأن علماء الحديث اهتموا بالسند دون المتن؛ ليتخذوا من هذا البهتان خنجرًا مسمومًا يطعنون به في الصحيحين، ولجهل هؤلاء الطاعنين بعلماء الجرح والتعديل ومناهجهم؛ أشاعوا هذا الزور والبهتان، وانطلى على كثير ممن لا دراية لهم بهذا العلم.

ثالثًا: قصة استمرار حياة الخضر وإلياس معًا

وهذه القصة الواهية مما يفرح بها المتصوفة:
١- أخرج الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢ / ٣٢٨) (٩٣ / ٤٦٢) قال: حدثنا أحمد بن الحسين الصوفي، حدثنا محمد بن أحمد بن زبدة المذاري، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا الحسن بن رزين، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: ولا أعلمه إلاَّ مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «يلتقي الخضر وإلياس عليهما السلام كل عام بالموسم بمنى؛ فيحلق كل منهما رأس صاحبه؛ فيتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله، ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلاَّ الله، ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله».
قال ابن عباس: من قالهن حين يصبح وحين يمسي أمَّنه الله عز وجل من الغرق والحرق والسرق، وأحسبه قال: ومن الشيطان والسلطان، ومن الحية والعقرب. اهـ.
٢- قلت: هذا الحديث أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١ / ١٩٥)، ثم قال: وأما حديث التقاء الخضر وإلياس ففي طريقه الحسن بن رزين، قال الدارقطني: ولم يحدّث به عن ابن جريج غيره. قال العقيلي: ولم يُتابع عليه مسندًا ولا موقوفًا، وهو مجهول في النقل، وحديثه غير محفوظ. وقال ابن المنادي: هذا حديث واهٍ بالحسن بن رزين، والخضر وإلياس مضيا لسبيلهما.
٣- قلت: وأورد هذا الحديث أيضًا ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١ / ٣٢٤)، وقال: أخرجه أبو إسحاق المزكي في فوائد تخريج الدارقطني من طريق الحسن بن رزين، وقد تفرد به، وهو مجهول، وحديثه غير محفوظ، ثم ذكر قول من عقب:
أ- بأن ابن عدي أخرجه من هذا الطريق، وقال: هو بهذا الإسناد منكر.
ب- وبأن الحافظ ابن حجر قال في الإصابة: جاء من غير طريق الحسن، لكن من وجه واهٍ جدًا، أخرجه ابن الجوزي في الواهيات من طريق أحمد بن عمار ومهدي بن هلال، وهما متروكان. ثم عقب ابن عراق قائلاً: بل مهدي يضع الحديث.
٤- قلت: وهو كما قال ابن عراق؛ حيث ذكره الذهبي في «الميزان» (٤ / ١٩٥ - ١٩٦)، وقال: كذَّبه يحيى بن سعيد بن معين، وقال ابن معين أيضًا: صاحب بدعة يضع الحديث، قال ابن المديني: كان يُتَّهم بالكذب».
٥- وقد تأثر بهذه القصص الواهية كثير من الناس؛ فتوهموا حياة الخضر وإلياس، والذين لم يقفوا على حقيقة هذه القصص الواهية أخذوا يحرِّفون الأحاديث الصحيحة بالاستثناءات؛ حتى تتفق مع هذه الأوهام.
ومن هذه الأحاديث: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته؛ فلما سلم قام فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد». اهـ. وهذا الحديث أخرجه البخاري ح(١١٦)، واللفظ له، (٥٦٤، ٦٠١)، ومسلم ح(٢٥٣٧)، وأبو داود ح(٤٣٤٨)، والترمذي ح(٢٢٥١)، والنسائي في الكبرى (٥٨٧١)، وأحمد (٥٦١٧)، (٦٠٢٨)، (٦١٤٨).
وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة». اهـ. وهذا الحديث أخرجه أحمد ح(١٤٤٥٨)، (١٤٤٨٥)، (١٥٠٦٠)، (١٥١٣٠)، ومسلم ح(٢٥٣٨).
قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: «والمراد أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة، سواء قل عمرها قبل ذلك أم لا، وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة، ومعنى نفس منفوسة، أي مولودة». اهـ.
قلت: ومن توهم من هذه القصص الواهية المكذوبة استمرار حياة الخضر ادعى أن الخضر كان حينئذ من ساكني البحر، فلم يدخل في الحديث.
وقالوا: لقد خرج عيسى عليه

السلام من ذلك، وهو حي؛ لأنه في السماء لا في الأرض، وقالوا: وخرج إبليس؛ لأنه على الماء أو في الهواء.

قُلْتُ: وفي التسوية بين خروج الخضر من هذا الحديث، وخروج عيسى عليه السلام من هذا الحديث، وخروج إبليس الرجيم من هذا الحديث، نظرٌ.

أولاً: أين الخضر من عيسى؟ وعيسى عليه السلام جاءت في حقه نصوص ثابتة من الكتاب والسنة، في رفعه، ونزوله آخر الزمان؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وعن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد». ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء: ١٥٩]. والحديث أخرجه البخاري ح(٢٢٢٢)، (٢٤٧٦)، (٣٤٤٨)، (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥)، واللفظ له، والترمذي (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٤٠٧٨)، وأحمد (٧٦٨٣)، (١٠٩٤٤).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة». والحديث أخرجه الإمام مسلم ح(١٥٦)، وأحمد (١٤٧٢٦)، (١٥١٢٩)، وابن حبان (٦٨١٩)، وابن منده (٤١٨)، وأبو يعلى (٢٠٧٨).

قُلْتُ: فأين أحاديث قصص استمرار حياة الخضر وإلياس الواهية من هذه الأحاديث التي في أعلى درجات الصحة في رفع ونزول عيسى عليه السلام.

ثانيًا: أين نصوص استمرار حياة الخضر عليه السلام من نصوص استمرار حياة إبليس الرجيم!!

أما عن خروج إبليس من هذا الحديث؛ فلأن هناك نصًا ثابتًا، قال الله تعالى: ﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر: ٣٦ - ٣٩].

قلت: فأتوني بنص أيها القائلون باستمرار حياة الخضر وإلياس حتى أخرجهما من هذا الحديث، وقد تبين لكم أنه لا يوجد في حياة الخضر وإلياس إلا هذه القصص المكذوبة الواهية التي بيناها آنفًا.

قلت: لذلك وضع العلامة الإمام ابن القيم قاعدة من بين القواعد التي أوردها في كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» لمعرفة الحديث الموضوع القاعدة (١١) قال فيها: «ومنها الأحاديث التي يُذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد».

كحديث: «إن رسول الله ﷺ كان في المسجد فسمع كلامًا من ورائه فذهبوا ينظرون، فإذا هو الخضر».. القصة. وحديث: «يلتقي الخضر وإلياس كل عام»... القصة.

حتى قال الإمام ابن القيم: سُئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باقٍ؟ فقال: «من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان».

ثم قال: وسئل البخاري عن الخضر وإلياس، هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد».

قلت: ولذلك قال الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٧ / ١٠٠): «والصواب الذي عليه المحققون أنه -أي الخضر- ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودًا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به، ويجاهد معه، كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم، وإعانتهم على الدين». اهـ.

قلت: وسُئل شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٣٧) عن «الخضر» و«إلياس»: هل هما معمران؟ بينوا لنا رحمكم الله تعالى.

فأجاب: «أنهما ليسا في الأحياء ولا معمران». اهـ.

وقد استدل على ذلك بقول إبراهيم الحربي، وقول الإمام البخاري، وهو الذي أوردناه آنفًا عن تلميذه الإمام ابن القيم، وزاد على تلميذه قول الإمام أبي الفرج بن الجوزي؛ حيث قال: وقال أبو الفرج بن الجوزي: قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وليس هما (الخضر وإلياس) في الأحياء». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.



تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام



تسأل: م. ع. س البحيرة - مصر تقول:
هل يجوز أن أدعو الله تعالى أن يجعلني من زوجات النبي £ في الجنة أم أن هذا من التعدي في الدعاء ؟

الجواب: نعم هذا المطلب يُعد من التعدي في الدعاء، ومعنى التعدي في الدعاء أن يسأل العبد ربه شيئًا لا ينبغي له، كأن يسأله أن يكون نبيًا، أو يسأل الله تعالى شيئًا فيه إثم أو قطيعة رحم، أو يستقصي في السؤال بصورة ممجوجة، كأن يسأل الله أن يقيه النار وعذابها ولهيبها وحرها وعقاربها وسلاسلها وأغلالها، أو يسأله الجنة ونعيمها وحورها وقصورها والقصر الأبيض والقصر الأحمر.

لا يجوز لهذه السائلة أو غيرها أن تسأل هذا السؤال؛ وذلك لأن زوجات رسول الله £ في الجنة هن من كن أزواجًا له في الدنيا، ومات عنهن؛ لقول جبريل للنبي £ لما طلق حفصة: «راجعها فإنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة». [صحيح الجامع: ٤٣٥١].

وكذلك لما سألت سودة رسول الله £ ألا يطلقها لأنها تريد أن تكون زوجته في الجنة فوافق عليه الصلاة والسلام. [الترمذي ٣٠٤٠، وصححه الألباني].

وتسأل سؤالاً ثانيًا فتقول: ما معنى الاستمناء باليد ؟

والجواب: الاستمناء باليد هو استخراج المني باليد عمدًا وبشهوة، سواء كان ذلك للرجل أو للمرأة.

وتسأل سؤالاً ثالثًا فتقول: ما معنى قول النبي £ : «إن الله يحب العبد المحترف»؟

الجواب: هذا الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٩٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٧٨) بلفظ: «إن الله يحب المؤمن المحترف». أي صاحب الحرفة التي تعفّه عن سؤال الناس، والحديث ضعّفه ابن الجوزي في العلل المتناهية (ح٩٦٨).

وتسأل سؤالاً رابعًا فتقول:
هل إذا فضفضت عما يحزنني لإحدى صديقاتي يُعد ذلك شكوى من قضاء الله؟

الجواب: إذا كان الإنسان يبث بعض همومه لصديق له من باب أن ينصحه أو يشير عليه بماذا يفعل، أو يساعده في تذليل صعوبة فلا حرج، وينبغي لصديقه أن يعاونه ما دام ذلك ممكنًا وليس فيه غيبة لأحد، ولا تعرض لعِرْض المسلم باسمه، وإن قال: إن أحدًا يؤذيني بدون تسمية فلا حرج، ولا يعد ذلك من الشكوى من قضاء الله، لكن إذا كان الأمر كمرض أو فقد عزيز، فعلى المسلم أن يحتسب ويصبر ويؤمن بقضاء الله تعالى وقدره؛ لقوله جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. والله أعلم.

يسأل سائل: ما حكم إفراد أنواع أخرى للتوحيد، زيادة على المعروفة عند أهل العلم (توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات)، كمن يقول: إن هناك توحيدًا رابعًا هو: توحيد الحاكمية، أو توحيد الحكم؟

الجواب: الكلام في مسألة الحاكمية من الأمور الحادثة التي لم يكن لها ذكر عند السلف بهذا الاصطلاح، وإذا عرضنا هذه القضية على قواعد السلف في أسماء الله وصفاته وأفعاله نجد أن الحاكمية بهذا اللفظ لا أصل لها شرعًا، وتبقى من الألفاظ المجملة المحتملة، وذلك أن أسماء الله وصفاته وأفعاله توقيفية، فلا يجوز أن يقال بأن الحاكمية قسم رابع من أقسام التوحيد ولا يصح هذا؛ لأن مسألة الحاكمية لها معنيان:

الأول: راجع إلى معنى التشريع والأمر الشرعي، وهذا يُرد إلى توحيد الإلهية والعبادات والطاعة؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ. هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

الثاني: راجع إلى حاكمية القضاء والقدر والخلق، وهذا يُرد إلى توحيد الربوبية؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

ودعوى أن الحاكمية أخص خصائص الإلهية لا أصل لها أيضًا، وهي دعوى محدثة، وقد تحمل معنى صحيحًا، فيُرد إلى ألفاظ الشرع وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وقد تحمل معنى لا دليل عليه فيُرد من أصله، وعليه فالحاكمية من الألفاظ المحدثة، مثلها مثل ما أحدثه الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام من الألفاظ المبتدعة، مثل: «واجب الوجود»، و«القديم»، و«الصانع»، ونحوها من الألفاظ التي قد تحتمل المعنى الحق أو الباطل، أو تحتمل المعنى الحق والباطل، فتكون من الألفاظ المشكلة، فمعانيها الحقة تُقبل وتُرد إلى ألفاظ الشرع، ونستغني عن لفظة الحاكمية ونحوها، والمعنى الباطل يرد بلفظه ومعناه، والألفاظ لا يجوز التزامها، يعني الألفاظ فيما يتعلق بالله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله لا يجوز التزامها ما لم ترد في الكتاب والسنة، فالحاكمية إذن من الألفاظ المشكلة التي لا يتوقف عليها الدين.

وقد سُئل الشيخ ابن باز رحمه الله هذا السؤال عمن يُفرد توحيد الحاكمية، ويجعله توحيدًا خاصًا غير توحيد الألوهية.

فأجاب رحمه الله بقوله: لا، هذا ما له أصل، هذا داخل في توحيد الألوهية، والأقسام بالاستقراء ثلاثة، وما عداها داخل فيها، فتوحيد الحاكمية وتوحيد العبادة شيء واحد، فالحكم بشرع الله من العبادة.

وسُئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عمن يدعي أن هناك قسمًا رابعًا للتوحيد تحت مسمى توحيد الحاكمية، فقال: هذا تقسيم مبتدع صدر من جاهل لا يفقه من أمر العقيدة والدين شيئًا، فإن توحيد الحاكمية داخل في الربوبية؛ لأن توحيد الربوبية هو توحيد الحكم والخلق والتدبير.

ولما سُئل الشيخ الألباني رحمه الله عن هذه المسألة قال: الحاكمية فرع من فروع توحيد الألوهية.

ولما سُئل الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله عن ذلك قال: تصوير قضية الحاكمية على أنها باب من أبواب العقيدة هو تصوير غير دقيق، والحقيقة أن تحكيم شرع الله هو مَعْلَم رئيس من معالم العقيدة الإسلامية.

ويقول الدكتور جمال المراكبي: إن الحاكمية ليست كما يدعي البعض الباب الرابع بعد توحيد الألوهية والربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا لا يقلل من شأنها، فهي من لوازم الإيمان، وهذه الدعوى التي برزت في هذا العصر استغلها كثيرون من الجهلة استغلالاً سيئًا لإطلاق أحكام التكفير على العصاة، سواءً كانوا حكامًا أو محكومين.

وحول ما ذكر وسبق إيراده جاءت فتوى هيئة كبار العلماء بالسعودية رقم (١٨٨٧٠)، وكذلك الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، المفتي العام للمملكة، والشيخ بكر أبو زيد، عضو هيئة كبار العلماء في السعودية، وكذلك الدكتور ناصر العقل، أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض، والدكتور ناصر القفاري، رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة بالقصيم، والشيخ صالح السدلان، الأستاذ بالدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود، والشيخ عبد المحسن العباد البدر، نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا، والشيخ محمد إبراهيم شقرة، من مشايخ الدعوة السلفية في الأردن، الذي أضاف: لا أدري ماذا يريد القائل بهذا على وجه التحديد، فإن كان هذا «المحدث المبتدع» يريد زيادة أنواع التوحيد، فهذا شأنه مع شيطانه، وإن كان يزعم أن أنواع التوحيد الثلاثة غير كافية في إشهار المعنى الذي يريده بهذا الإحداث، فهذا دليل جهالة وزيادة في ضلالة، فإن توحيد الألوهية يقضي بتوجه العباد إلى خالقهم وحده في عبادتهم، وتوحيد الربوبية يفرض بإفراد الخالق سبحانه في أمور الخلق والتدبير، وكلا النوعين يستقصيان كل ما يخطر بالبال، وما لا يخطر، من شئون الدنيا والآخرة على نسق واحد لا يختلف إطلاقًا.



آداب الزيارة

الحلقة الرابعة

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد السابق عن أحكام الضيافة وآداب الضيافة، ونكمل تلك الآداب:

٧- من الآداب: أنه لا بأس بتنوع الطعام لأجل الضيف:

ما يدل على إكرام الضيف إتحافه بأطيب ما يحب من أنواع الطعام، يدل على ذلك ما قام به أبو الهيثم بن التيهان، من أنه أمر لهم بشعير يُعمل، وقام فذبح شاة، وجعل قِرًى لهم، واستعذب لهم ماء. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما».

قال: «قوموا». فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة، قالت: مرحبًا وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، فقال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب (حتى ينتقي الضيف ما يشاء)، فقال: كلوا من هذه (حتى يسكن الجوع، ريثما تذبح الذبيحة وتطبخ، وهذا من حسن الضيافة أن يسكّن جوع الضيف بشيء إذا كان الطعام سيتأخر)، وأخذ المدية فقال ﷺ: «إياك والحلوب». (أي: لا تذبح ذات در تُرضع أولادها وتنتفعون من حليبها ولبنها)، فذبح لهم فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».[مسلم ٢٠٣٨]

هؤلاء أعظم ثلاثة في الأمة، خرجوا من بيوتهم وما أخرجهم إلا الجوع، وهذا رسول الله ﷺ، والخليفة الأول والثاني: أخرجهم الجوع من البيت.

وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول: «ليس من السرف التبسط للضيف في الطعام». وكان التنوع في الألوان لأجل الإكرام؛ حتى إذا لم يعجبه نوعٌ أعجبه نوع آخر.

وكان ميمون بن مهران - رحمه الله - يقول: من أطعم ولم يتمر - أي: ولم يطعم الضيف تمرًا أو شيئًا حلوًا - كان كمن صلى العشاء ولم يوتر.

٨- وينبغي إذا حضر من دُعي، وأحضر الطعام ألا يُنتظر من غاب إلا لضرورة، ولذلك قيل: ثلاثة تضني:

أ- سراج لا يضيء.

ب- ورسول بطيء.

جـ- ومائدة يُنتظر لها من يجيء.



وتأمل ما رواه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّة كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّه £ ، قَالَ مَرَّةً: « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِث، مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَة فَلْيَذْهَبْ بِخَامِس بِسَادِس»، أَوْ كَمَا قَالَ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلاَثَةَ، فَانْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّه £ بِعَشَرَة، وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلاَثَة، قَالَ: فَهُوَ أَنَا، وَأَبِي وَأُمِّي، وَلاَ أَدْرِي، هَلْ قَالَ: وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْتِنَا وَبَيْت أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ رَسُول اللَّه £ ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللَّه £ ، فَجَاءَ بَعْدَمَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ أَوْ قَالَتْ ضَيْفِكَ ؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَغَلَبُوهُمْ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، وقَالَ: يَا غُنْتَرُ أَوْ يَا غُنْثَرُ فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا لاَ هَنِيًّا، وَقَالَ: وَاللَّه لاَ أَطْعَمُهُ أَبَدًا، قَالَ: وَحَلَفَ الضَّيْفُ أَنْ لاَ يَطْعَمَهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذه مِنَ الشَّيْطَانِ، قَالَ: فَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ، قَالَ: فَايْمُ اللَّه مَا كُنَّا نَأْخُذُ منْ لُقْمَة إِلاَّ رَبَا منْ أَسْفَلهَا أَكْثَرَ منْهَا، قَالَ: حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ ممَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ، فَقَالَ لامْرَأَته: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا: قَالَتْ: لاَ وَقُرَّة عَيْنِي، لَهِيَ الآنَ أَكْثَرُ منْهَا قَبْلَ ذَلكَ بِثَلاَث مرَارٍ، فَأَكَلَ منْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلكَ منَ الشَّيْطَانِ يَعْني: يَمينَهُ، ثُمَّ أَكَلَ لُقْمَةً ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّه £ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ. [أحمد (١٧١٤) واللفظ له والبخاري (٦٠٢)].

فيؤخذ من هذا الحديث عدة أمور منها:

أ- جواز الاشتغال عن الضيف بمصلحة المسلمين، مثل ما فعل الصديق، إذا كان هناك من يقوم بإكرامهم مثل ولده.

ب- فيه السمر بعد العشاء مع الضيف والأهل، وقد ترجم البخاري: باب السمر مع الضيف والأهل.

د- فيه جواز قول الضيف لصاحبه لا آكل حتى تأكل، وإنما امتنع أضياف الصديق عن الأكل من الطعام؛ لأنهم ظنوا أن الطعام ربما ينتهي دون أبي بكر.

- قال الإمام النووي: هذا الحديث فيه كرامة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

هـ- قال: وفيه أن من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فعل ذلك وكفَّر عن يمينه، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة.

و- وظن الصديق أن عبد الرحمن فرط في حق الأضياف ولذلك عنَّفه، وقال عليه كلامًا غليظًا: وغنثر معناها: الثقيل، وقيل: الجاهل، وقيل: السفيه، وقيل: اللئيم، وقيل: ذباب أزرق، والسب هو: الشتم.

ز- فيه الاختباء خوف الأذى.

ح- الصِّدِّيق مع مكانته وفضله رجَّاع إلى الحق، وقال: هذه من الشيطان وأكل، وما أخَّره عن ضيوفه إلا أنه كان مع النبي £ ، ولذلك أكرم الصديق بكرامات الأولياء حتى إنه يقول: كلما رفعوا لقمة إلا ربا مكانها أكثر منها.

٩- ينبغي للمضيف أن يسهر مع أضيافه:

فيؤانسهم بلذيذ المحادثة؛ ليستميل قلوبهم بالبذل لهم من أخبار الصالحين ونحو ذلك، ولا ينام قبلهم، ولا يشكو الزمان بحضورهم.

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية والمنح المرعية: ويستحب لصاحب الطعام أن يباسط إخوانه بالحديث الطيب، والحكايات التي تليق بالحال إذا كانوا منقبضين.

قال الإمام أحمد: يأكل بالسرور مع إخوانه، وبالإيثار مع الفقراء، وبالمروءة مع أبناء الدنيا.

وقال المأمون: سبعة أشياء لا تُمَلّ: أكل خبز البر، وشرب ماء العنب، وأكل لحم الضأن، والثوب اللين، والرائحة الطيبة، والفراش الوطيء، والنظر إلى كل شيء حسن.

فقال له الحسن بن سهل: فأين محادثة الإخوان يا أمير المؤمنين؟ قال: هُنَّ ثمانٍ وهي أولاهن: ويأكل ويشرب مع أبناء الدنيا بالأدب، ومع الفقراء بالإيثار، ومع إخوانه بالانبساط، ومع العلماء بالتعلم والاتباع.

١٠- من آداب المضيِّف: أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل إكرام الضيف.

قال الإمام أحمد: يأكل بالسرور مع إخوانه، وبالإيثار مع الفقراء، وبالمروءة مع أبناء الدنيا

ويستحب لصاحب الطعام أن يباسط إخوانه بالحديث الطيب، والحكايات التي تليق بالحال إذا كانوا منقبضين

١١- ينبغي أن يُري أضيافه مكان الخلاء - أو الحمام -.

١٢- وينبغي الاهتمام بالضيوف، خاصة طلبة العلم منهم.

الاهتمام بالضيوف الذين جاءوا من أجل الدين، مثل أهل الصفة على عهد رسول الله ﷺ، ولذلك لما جاء رسول الله ﷺ لَبَنٌ، قال لأبي هريرة رضي الله عنه: «الحق بأهل الصفة فادعهم لي». قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا إلى مال، ولا إلى أحد.. فكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا. [البخاري ٦٤٥٢].

وقد جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم إكرام أهل العلم وطلابه إذا جاءوا ضيوفًا.

قال مالك بن خزيمة: كنت جالسًا مع الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه بأرض العتيق، فأتاه قوم من أهل المدينة على دواب، فنزلوا عنده - أي ليأخذوا عنه حديث النبي ﷺ - قال أبو هريرة لشخص عنده: اذهب إلى أمي فقل لها: إنَّ ابنك يقرئك السلام، ويقول لك: أطعمينا شيئًا. قال: فوضعت له ثلاثة أقراص في صحفة، وشيئًا من زيت وملح، ثم وضعتها على رأسي وحملتها إليهم، فلما وضعتها بين أيديهم كبَّر أبو هريرة، وقال: الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودان «التمر والماء»، فلم يصب القوم من الطعام شيئًا، فلما انصرفوا قال: يا ابن أخي، أحسن إلى عمتك وامسح الرغام عنها.

وهذا يحتمل أنهم قصدوا أبا هريرة للتعلم منه، وللأخذ عنه، وإحضار أبي هريرة للطعام المتيسر عنده من باب إكرام الضيف، وكبر على معنى الذكر لله والشكر له على ما نقله من حال المجاعة إلى هذا الحال من الخصب والكثرة، حتى وجد عنده خبزٌ وإدام، دون استعداد ولا تأهب.

١٣- الخروج مع الضيف إلى باب المنزل:

فهذا من تمام الأدب، وينبغي السير معه قليلاً حتى يركب دابته أو سيارته، وذلك للاستئناس.

ذكر ابن عبد البر، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنَّ من السنة إذا دعوت أحداً إلى منزلك أن تخرج معه حتى يخرج.

وهذا الأدب يسمى في عرف العلماء بـ: «تشييع الضيف».

يُندب للإنسان أن يشيع ضيفه، ويخرج معه إلى باب الدار وإلى السيارة ويفتح له الباب ليركب، أو يأخذ بزمام الراحلة، إذا كان عنده راحلة ويودعه، هذا من تمام الضيافة



قال في المصباح المنير، في فصل الشين مع الياء: شيعت الضيف: خرجت معه عند رحيله إكرامًا له وهو التوديع.

فيُندب للإنسان أن يشيع ضيفه، ويخرج معه إلى باب الدار وإلى السيارة ويفتح له الباب ليركب، أو يأخذ بزمام الراحلة، إذا كان عنده راحلة ويودعه، هذا من تمام الضيافة.

روى أبو بكر بن أبي الدنيا قال: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: زرت أحمد بن حنبل، فلما دخلت عليه بيته قام فاعتنقني، وأجلسني في صدر مجلسه، فقلت: يا أبا عبد الله، أليس يقال: صاحب البيت والمجلس أحق بصدر بيته، أو مجلسه ؟ قال: نعم: يَقْعُد ويُقْعِد مَنْ، قال: قلت في نفسي: خذ يا أبا عبيد فائدة.

ثم قلت: يا أبا عبد الله، لو كنت آتيك على حق ما تستحق لأتيتك كل يوم، فقال: لا تقل ذلك فإن لي إخوانًا ما ألقاهم في كل سنة إلا مرة أنا أوثق في مودتهم ممن ألقى كل يوم، قلت: هذه أخرى يا أبا عبيد، فلما أردت القيام قام معي. قلت: لا تفعل يا أبا عبد الله، قال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر، أن تمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه، قال: قلت في نفسي: يا أبا عبد الله ؟ مَنْ عن الشعبيِّ ؟ قال: ابن زائدة عن مجاهدٍ عن الشعبي.

قال: قلت في نفسي: يا أبا عبيد، هذه ثالثة. [انظر الآداب الشرعية لابن مفلح: ٣ / ٢٨٢].

فإذًا تشييعه والخروج معه من تمامِ الضيافة.

- الضيافة فيها: ضيف ومُضيِّف، هذه آداب المُضيِّف، فما هي آداب الضيف ؟ هذا ما سنتناوله في العدد القادم إن شاء الله، ونسأل الله أن يرزقنا الإخلاص والقبول، وصلى الله وسلم على رسولنا محمد وعلى ذريته وآل بيته، وأصحابه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الخامسة

العلامة الشيخ

عبد الرزاق عفيفي

رحمه الله

معالم منهجه الأصولي

بقلم: د/ عبد الرحمن السديس

إمام الحرم المكي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فنكمل حديثنا حول العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- فنقول وبالله تعالى التوفيق:

عنايته الفائقة باللغة العربية

اللغة العربية لغة القرآن الكريم، بها نزل، وبها أبان التوحيد وأوضح الأحكام، وبمعهود العرب ومألوفهم وأسلوبهم جاء الخطاب الشرعي، ولما كانت الألفاظ قوالب للمعاني، واللغة وعاء المعنى، فإن للغة العربية أثراً كبيراً وأهمية كبرى ومنزلة عظمى عند العلماء لاسيما علماء الشريعة، خاصة علماء الأصول؛ لأنها عمدة في معرفة دلالات الألفاظ وبناء الأحكام عليها، كما يحتاجها المجتهدون والمُفْتُون للنظر في دلالات اللفظ، ومن ثَمَّ بناء الحكم عليه، ولهذا كانت اللغة مصدراً يستمد منه علم الأصول، ومعيناً للأصوليين يبنون من خلاله استنباطاتهم وأحكامهم، وكذلك سلك الشيخ رحمه الله، فكان حريصاً على اللغة العربية، مجانباً البعد عنها وتركها إلى فلسفات منطقية ومذاهب كلامية يبني عليها بعض الاستدلالات الشرعية.

فها هو رحمه الله يعيب على بعض الأصوليين خروجهم عن منهج الكتاب والسنة واللغة العربية إلى صناعات منطقية ومباحث كلامية لاسيما في الحدود والتعريفات.

فعند إغراق الآمدي في التعريفات للقياس والاعتراضات عليها والمناقشات والإجابات، علق الشيخ رحمه الله بقوله: «هذه التعاريف دخلتها الصناعة المنطقية المتكلفة، فصارت خفية غامضة واحتاجت إلى شرح وبيان، ومع ذلك لم تسلم من النقد والأخذ والرد، ولو سلكوا في البيان طريقة القرآن وسنة الرسول £ ومعهود العرب ومألوفهم - وهذا هو الشاهد - من الإيضاح بضرب الأمثال لسهل الأمر... إلخ».

كما اعتنى رحمه الله ببناء الدلالات الأصولية - كدلالة الأمر والنهي، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والمنطوق والمفهوم، وغيرها - على ظاهر اللغة، فتبقى على دلالتها اللغوية حتى يأتي ما يصرفها عنه، كالدلالة الشرعية أو العرفية أو نحوها، وهذا هو المتمشي مع الأصل الذي سار عليه علماء الأصول.

كما كان رحمه الله كثيراً ما يعلق على ملحوظات لغوية ونحوية مما تسامح فيه الآمدي؛ وذلك غيرةً من الشيخ رحمه الله على اللغة، وحرصاً على الالتزام بها، وبعداً عن اللحن فيها.

والنماذج على ذلك كثيرة لا يسمح المقام بسردها، ولذلك فسأكتفي بالإحالة على بعض أماكن وجودها. [١ / ٢٤، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٥٢، وغيرها].

ولأختم هذا المعلم بهذه اللطيفة اللغوية، فقد أورد الآمدي لفظة: «ذات» على الله سبحانه وتعالى، فعلق الشيخ رحمه الله على ذلك بقوله: «جرى علماء الكلام والأصول على إطلاق كلمة: «ذات» على نفس الشيء وعينه وحقيقته، وأن يُدخِلُوا عليها الألف واللام، وهذا لا يصح في اللغة العربية، فإن كلمة «ذات» مؤنث كلمة «ذو»، وكلتاهما لا يدخل عليها الألف واللام، ولا تطلق على نفس الشيء وحقيقته، إنما تنسب إليه نسبة الصفة إلى الموصوف، وتضاف إلى ما لها به نوع ملابسة واتصال».

تأثره بمنهج المحققين من الأصوليين

من المتقرر أن من العلماء من لم يسلك منهجي المتكلمين والفقهاء المعروفين في علم الأصول، بل استفاد من إيجابيات كل منهما، وجانَبَ المؤاخذات عليه، والتزم بصحة الدليل وسلامة التعليل والعناية بالتطبيق والتمثيل، مع وضوح العبارة، ومجانبة الولوغ في الجدل، فأخذ اللباب، واهتم بالجوهر؛ فكانت طريقته متميزة ومنهجه سليماً، بل منهم من هو مدوِّن علم الأصول، لكن نهج من جاء بعده - في الغالب - نهج المتكلمين.

وذلك هو الإمام الشافعي رحمه الله؛ ولقد أثنى شيخنا رحمه الله عليه في المقدمة؛ فقال: «وكان أول من عُني بتدوين أصول الفقه فيما اشتهر بين العلماء أبو عبد الله محمد بن إدريس، فأملى كتابه المعروف بالرسالة، وقد جمع فيه بين أمرين:

الأول: تحرير القواعد الأصولية، وإقامة الأدلة عليها من

الكتاب والسنة، وإيضاح منهجه في الاستدلال، وتأييده بالشواهد من اللغة العربية.
الثاني: الإكثار من الأمثلة لزيادة الإيضاح والتطبيق لكثير من الأدلة على قضايا في أصول الشريعة وفروعها، مع نقاش للمخالفين تزيده جزالة العبارة قوة وتُكسبه جمالاً، فكان كتابه قاعدة محكمة بنى عليها من جاء بعده، وكان منهجه فيه طريقًا واضحًا سلكه من ألّف بعده في هذا العلم..».
وتوسع فيه إلى أن قال رحمه الله: «ولو سلك المؤلفون في الأصول بعد الشافعي طريقته في الأمرين تقعيداً واستدلالاً وتطبيقًا وإيضاحًا بكثرة الأمثلة، وتركوا الخيال وكثرة الجدل والفروض، واطرحوا العصبية في النقاش والحجاج، ولم يزيدوا إلا ما تقتضي طبيعة النماء في العلوم إضافته من مسائل وتفاصيل لما أُصِّل في الأبواب، وإلا ما تدعو إليه الحاجة من التطبيق والتمثيل من واقع الحياة للإيضاح.. لسهل هذا العلم على طالبيه، ولانتهى بمن اشتغل به إلى صفوف المجتهدين من قريب».
وممن استفاد منه شيخنا رحمه الله الإمام أبو محمد ابن حزم رحمه الله، فقد أثنى عليه وعلى كتابه في الأصول من حيث العناية بالأدلة النقلية، والإكثار منها وربطها بالفروع، غير أنه رأى أنه لا يبلغ مبلغ الشافعي رحمه الله، وأنه أخذ عليه الجمود على الظاهر، وإغفال المقاصد والحِكَم الشرعية مع شدته في المعارضة والنقاش.
وإليك ما قاله الشيخ رحمه الله عنه وعن كتابه، والمقارنة بينه وبين الشافعي، فيقول: «وقد تبعه - يعني الشافعي - في الأمرين، وهما العناية بالقواعد الأصولية والاستدلال عليها، والتمثيل والتطبيق - أبو محمد علي بن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام، بل كان أكثر منه سرداً للأدلة النقلية مع نقدها، وإيراداً للفروع الفقهية مع ذكر مذاهب العلماء فيها وما احتجوا به عليها، ثم يُوسع ذلك نقداً ونقاشاً ويرجِّح ما يراه صواباً، غير أن أبا محمد وإن كان غير مدافَع في سعة علمه واطلاعه على النصوص، وتمييز صحيحها من سقيمها، والمعرفة بمذاهب العلماء وأدلتها، وإيراد ذلك في أسلوب رائع وعبارات سهلة واضحة لم يبلغ مبلغ الشافعي، فقد كان الشافعي أخبر منه بالنقل، وأعرف بطرقه، وأقدر على نقده، وأعدل في حكمه، وأدرى بمعاني النصوص ومغزاها، وأرعى لمقاصد الشريعة وأسرارها وبناء الأحكام عليها، مع جزالة في العبارة تُذَكِّر بالعربية في عهدها الأول، ومع حسن أدب في النقد، وعفة لسان في نقاش الخصوم والرد على المخالفين.
ولقد كان منهج الشيخ رحمه الله وموقفه من ابن حزم موقف المنصف، فأثنى عليه بما أصاب فيه، وانتقده حين أخطأ، والكمال لله وحده، بل إنه رحمه الله أحال على كتابه في كثير من المواضع، فعندما ذكر الآمدي أدلة المنكرين للقياس أحال إلى كلام ابن حزم في الإحكام؛ لأنه ذكرها وتوسع فيها، والنماذج على ذلك كثيرة.
ومن العلماء الذين تأثر الشيخ بهم العالم الإمام والمجاهد الهمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، بل أكاد أقول: إنه الحائز لقصب السبق وصاحب القدح المعلَّى في تأثر الشيخ به، وليس هذا إلا توفيقًا من الله لهما، فشيخ الإسلام ابن تيمية لا يستطيع القلم في هذه العجالة ذكر أفضاله ومآثره في كل فن، لاسيما علم الأصول، مما حدا بشيخنا، بل بكل سالك مسلك التحقيق والتدقيق والعلم العميق، أن ينهل من معين علمه، وأن يستفيد من منهجه وطريقته، فقد جمع رحمه الله ما قل أن يجمعه غيره، ولقد استفاد منه الشيخ رحمه الله في تعليقاته، سواء منها ما يتعلق بالعقيدة، أو بالأصول أم بغيرها، حتى بلغ ما أحال الشيخ إلى كتبه وعلمه نحواً من ستين موضعاً يصعب سردها في هذه العجالة؛ لذلك سأكتفي بالإحالة إلى نماذج من أرقام الصفحات في ذلك. [١ / ١٠، ٢٦، ٣٢، ٣٥، ٤٥، ٤٦،... وغيرها].
ومن العلماء الذين استفاد الشيخ منهم وتأثر بهم الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله، ولا غرو فهو تلميذ شيخ الإسلام وأشد طلابه ولعًا به وشغفًا بملازمته والنهل من علمه، وقد كان لابن القيم رحمه الله لمسات قيمة في علم الأصول، نهج فيها نهج شيخه رحمه الله، ولقد استفاد شيخنا رحمه الله من منهجه، وأحال في كثير من المواضع على كتبه، لاسيما إعلام الموقعين، وبدائع الفوائد وغيرهما، ولقد وصلت إحالة الشيخ إلى كتب ابن القيم إلى قرابة العشرين موضعاً.
ومن العلماء المحققين الذين استفاد الشيخ رحمه الله من علمهم ومنهجهم الإمام الشاطبي رحمه الله، الذي تميز منهجه بالنظر في مقاصد الشريعة، وجمع مسائل الفقه، ولو اختلفت أبوابها، تحت قضية أصولية، وقد أثنى الشيخ رحمه الله على منهج الشاطبي في مقدمة تعليقه على الإحكام، فلما ذكر المناهج الأصولية وأورد منهج الفقهاء وطريقة الحنفية قال: «ولو سلك هؤلاء طريق الاستقراء، فأكثروا المسائل الفقهية من أبواب شتى على أن يجمعها وحدة أصولية، كما فعل ذلك الشاطبي أحياناً في كتاب الموافقات، وقصدوا بذلك الشرح والبيان والإرشاد إلى ما بينها من معنى جامع يقتضي اشتراكها في الحكم دون تقيُّد بمذهب معين ليخلصوا إلى القاعدة الأصولية، وأتبعوا ذلك ما يؤيده الاستقراء من أدلة العقل والنقل لكان طريقًا طبيعيًا تألفه الفِطَر السليمة وتعتمده عقول الباحثين المنصفين، ولأَكسبوا من قرأ في كتبهم استقلالاً في الحكم، وفتحوا أمامهم باب البحث والتنقيب، ويسَّروا لهم تطبيق القواعد الأصولية على ما جدَّ ويجد من القضايا في مختلف العصور».
ولهذا الإعجاب من شيخنا بالشاطبي رحمه الله فقد أحال إلى كتابه القيم «الموافقات» في مواضع شتى تزيد على العشرة لاسيما في كتاب المقاصد.
كما أحال الشيخ رحمه الله على كتاب الاعتصام للشاطبي رحمه الله.
وبذلك المعلم تتبين الكوكبة العلمية الوضاءة التي استنار الشيخ رحمه الله بمنهجها، واستقى من حسن طريقتها ومسلكها، فرحم الله الجميع ووفقنا للاستفادة من علمهم ومنهجهم.



إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الشيعة الرافضة قد ارتكبوا عبر مختلف العصور والأزمنة من الجرائم والمجازر في حق أهل السنة ما تذهل منه العقول، وتشيب منه الرءوس، فكلما ظهر عالم أو فقيه يبيِّن زيف عقائدهم وفساد مناهجهم، قاموا بقتله واغتياله على يد جناحهم العسكري، وإليك أخي نماذج من غدرهم واستحلالهم لدماء أهل السنة في القديم والحديث:

١- نبش قبري الصديق والفاروق، رضي الله عنهما، في محاولة لسرقة أجسادهما الطاهرة وحرقهما:

فقد ذكر صاحب كتاب الدر الثمين، أن شيعة حلب أغروا أمير المدينة بالأموال الباهظة؛ كي يمكِّنهم من نقل جثمانَي الصديق والفاروق إلى بلادهم ليحرقوهما، فأجابهم لذلك حتى كان لهم نفوذ في أرض الحجاز في تلك الآونة، لكن الله خسف بهم الأرض عندما دخلوا المسجد النبوي، وقصدوا الحجرة النبوية، وصاروا يصيحون ويستغيثون وهم تحت أنقاض الأرض، وكانوا أربعين رجلاً ابتلعتهم الأرض بما معهم من معاول ومساح؛ فاعتبروا يا أولي الألباب.

٢- اغتيال الملك عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢١٨هـ:

حيث ذكر ابن بشر في كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» أن الذي قتل الملك عبد العزيز بن محمد بن سعود هو رافضي خبيث اسمه عثمان من أهل النجف بالعراق، جاء مسجد الطريف بالدرعية، وطعنه وهو ساجد يصلي صلاة العصر، رحمه الله.

٣- مجازر المخيمات الفلسطينية:

فعلى يد حركة أمل الشيعية التي أسَّسها موسى الصدر في لبنان سنة ١٩٧٥م وقعت المجازر الشيعية في مخيم صبرا وشاتيلا الفلسطيني، فعاثوا فيه الفساد؛ حيث قطعوا عنه الإمدادات والكهرباء والمياه، واعتقلوا جميع من في المخيم، ومنعوا دخول سيارات الأجهزة الطبية، وفي ذات الوقت قصفوا مخيم برج البراجل الفلسطيني بقذائف الهاون؛ استجابةً لأوامر نبيه بري الشيعي الرافضي؛ حيث أمر اللواء السادس في الجيش اللبناني بمشاركة قوات أمل الشيعية في ذبح المسلمين السُّنَّة في لبنان، وتفيد الإحصاءات بأن عدد الضحايا بلغ عدداً ضخماً من القتلى والجرحى، وأن أيدي الرافضة امتدت إلى الأطفال والمستشفيات، ودور العجزة، وحتى المعاقين لم يسلموا من غدرهم وخيانتهم؛ حيث ذبحوا الفلسطيني من أهل السنة كما تُذبح الشياه، واغتصبوا النساء في عمليات همجية بربرية دنيئة يشهد بها التاريخ. [راجع مجمل عقائد الشيعة لممدوح الحربي].

٤- اغتيال علماء السنة في إيران وعلى رأسهم العلامة السيد بهمن شكوري:

لأنه كان يحذر من تقديس الشيعة لأئمتهم، وتعظيمهم للمزارات والمشاهد الشيعية، فسجنوه، وقُتل وهو صائم قبل الثورة الخمينية بسنتين.

٥- اغتيال العلامة المجاهد أحمد مفتي زاده:

الذي سُجن أكثر من عشر سنوات في سجون الآيات والأئمة، فأصيب بأمراض عديدة، فتركوه دون علاج حتى مات رحمه الله خارج سجونهم القاسية.

٦- قتل الإمام البرقعي، صاحب كتاب كسر الصنم:

حيث هداه الله وشرح صدره لمنهج أهل السنة

ﮪﮪ إن الشيعة الرافضة قد ارتكبوا عبر مختلف العصور والأزمنة من الجرائم والمجازر في حق أهل السنة ما تذهل منه العقول، وتشيب منه الرؤوس، فكلما ظهر عالم أو فقيه يبين زيف عقائدهم وفساد مناهجهم، قاموا بقتله واغتياله ﮪﮪ

بعد أن نال درجة الاجتهاد في المذهب الجعفري الاثنى عشري؛ ولأنه بيَّن ضلالهم، وفنَّد عقائدهم الباطلة؛ فقد حاول رجال حرس الثورة الإيرانية الشيعية اغتياله بالرصاص، فأُصيب في خده الأيسر برصاصة خرجت من خده الأيمن، وظل يعاني من تعذيبهم في السجون بعد ذلك حتى توفاه الله سنة ١٩٩٢م في سجن إدين بإيران، وهو من أقسى سجون إيران الشيعية.

٧- قتل العلامة إحسان إلهي ظهير:

وذلك في مدينة لاهور بجمعية دار الحديث سنة ١٤٠٧هـ، حيث تآمر عليه الرافضة الفجار، ووضعوا له عبوة ناسفة في زهرية كانت على منضدة يحاضر من خلفها؛ فانفجرت في وجهه فقُتل معه ثمانية عشر رجلاً، وأصيب أكثر من مائة، ودُفن رحمه الله بالبقيع بعد أن نُقل من باكستان بأمر من خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز؛ استجابة لشفاعة الإمام العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، الذي صلى عليه هو وطلابه ومحبوه.

٨- قتل الطبيب الجراح علي مظفريان:

لتركه المذهب الشيعي، وفضح معتقداته ومنهجه الفاسد، ومن بعده الشيخ العلامة ناصر السبحاني، الذي قبَّل حبل المشنقة عند قتله، وقال كلمته المشهورة: «إني أرى هناك ما لا ترونه أنتم».

وتطول القائمة؛ حيث استحل هؤلاء الأشرار دماء علماء السنة، لاسيما من تصدَّى منهم للفكر الرافضي، وكشف زيفه وضلاله.

٩- تفجيرات مكة المكرمة:

وفي عام ١٤٠٩هـ قامت جماعة من شيعة الكويت المتفرعة من حزب اللات اللبناني بتفجيرات مكة المكرمة؛ حيث تسلموا من مسئول السفارة الإيرانية في دولة الكويت المواد المتفجرة، ونتج عن هذه التفجيرات قتل وجرح عدد من حجاج بيت الله الحرام في ذلك الوقت.

١٠- هدم مسجد فيضي السني في إيران:

ففي مدينة مشهد الإيرانية سنة ١٤١٤هـ، وفي ذكرى وصول الهالك الخميني إلى إيران في شهر شعبان من تلك السنة، حاصرت المخابرات الإيرانية مسجد فيضي التابع لأهل السنة، واستخدمت الجرافات في هدمه، دون أن يفرَّغ من المصاحف والكتب التي كانت بداخله، فضلاً عمن تحت الجرافات من الركَّع السجود داخل المسجد.

وذلك أخي القارئ شيء يسير من جرائم الرافضة، وغدرهم تجاه أهل السنة، وما يزال مخططهم الآثم في هدم المساجد والمدارس السنية ظاهرًا وبيِّنًا لمن يتابع ويتجرد من الهوى والعمى والضلال.

فقد حاولوا قديمًا سرقة جسد الرسول ﷺ على يد الفرقة الإسماعيلية، وذلك في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي، لكن الله أبطل كيدهم ودبَّ الخوف في صدورهم عندما هبَّت ريح عاصفة شديدة أظلم معها النهار، فخافوا وتوقفوا عن فعلتهم، مع أنهم وصلوا إلى الحجرة الشريفة لنبش قبر سيد البشر عليه الصلاة والسلام. [راجع: مجمل عقائد الشيعة، ص١٦١].

ولم تكن هذه هي المحاولة الوحيدة لهذا الفعل الآثم، فقد همَّ الخليفة الفاطمي في عام ٥٢٤ هـ أن ينقل جثمان الرسول ﷺ إلى القاهرة، فانهار السرداب الذي أقامه من بعثهم الخليفة، وذلك بعد دخولهم المسجد النبوي، وإقامتهم ذلك السرداب للوصول إلى قبر سيد البشر ﷺ، فهلكوا عن بكرة أبيهم في سردابهم المشئوم إلى جهنم وبئس المصير.

وإليك أخي القارئ قائمة بما فعله الشيعة الإسماعيلية بعلماء أهل السنة حتى تكون على بينة من القوم وغدرهم:

١- سلخ وقتل الإمام النابلسي. [راجع البداية والنهاية لابن كثير].
٢- اغتيال الوزير السلجوقي سنة ٤٦٥هـ.
٣- اغتيال الأمير بلقا بك بن سريد سنة ٤٩٣هـ.
٤- اغتيال القاضي صاعد بن محمد.
٥- اغتيال قاضي أصبهان عبيد الله الحيطبي سنة ٥٠٢هـ.
٦- اغتيال الواعظ أبي المظفر بن الخجندي سنة ٤٩٦هـ.
٧- اغتيال جناح الدولة حسين صاحب حمص سنة ٤٩٥هـ.
٨- تجرؤهم على القائد صلاح الدين الأيوبي، هازم الصليبيين، فقد حاولوا اغتياله سنة ٥٧٠هـ.

والأدهى من ذلك أنهم قاموا بهدم قبة زمزم، وقلع باب الكعبة المشرفة، ولكن الله أهلك من فعل ذلك منهم، فأهلكه بعد أن سقط على رأسه باب الكعبة فخرَّ هالكًا، وأخذت الإسماعيلية كذلك الحجر الأسود وظل عندهم ما يقرب من عشرين سنة. [راجع البداية والنهاية].

وبعدُ: أليس كل هذا من أدلة خيانات القوم وغدرهم عبر العصور والأزمنة، ألم يقل ملكهم أبو طاهر الجنابي حينما كان يقف على باب الكعبة وحجاج بيت الله يُقتلون بسيوف الرافضة الأرجاس:

أنا الله، وبالله أنا ... يخلق الخلق، وأفنيهم أنا

فإنا لله وإنا إليه راجعون. والله من وراء القصد.

الحلقة التاسعة عشرة

إعلام المصلين والولاة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فما يزال الحديث موصولاً عمن تكون إمامته على خلاف الأَوْلى، ونتحدث بمشيئة الله تعالى عن:

إمامة القاعد للقائم

أولاً: حكم إمامة القاعد المعذور للقائم الصحيح:

اتفق العلماء على أن للصحيح أن يصلي النافلة قائمًا وقاعدًا، بعذر وبغير عذر، كما اتفقوا على أنه ليس للصحيح أن يصلي الفريضة قاعدًا بغير عذر، سواء كان منفردًا، أو إمامًا؛ لقوله تعالى: (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: ٢٣٨].

واختلفوا في حكم إمامة القاعد للقائم على قولين:

الأول: صحة إمامة القاعد المعذور للقائم الصحيح:

فيجوز للقاعد أن يؤم القائم، وممن قال بهذا أبو حنيفة والشافعي وأحمد، ومالك في إحدى روايتيه.

دليله:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يُؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس. فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، -أي رقيق القلب، ويؤيده ما جاء في رواية أخرى قالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء- وإنه متى يقم مقامك لم يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس، فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، قال: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ في نفسه خفةً، فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد، -أي يعتمد على الرجلين متمايلاً في مشيه من شدة الضعف، ولم يكن يقدر على تمكين رجليه من الأرض-. فلما سمع أبو بكر حسّه ذهب أبو بكر يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ، فجاء ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائمًا، وكان رسول الله ﷺ يصلي قاعدًا يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ والناس مقتدون بصلاة أبي بكر، رضي الله عنه.

[البخاري ٧١٣، ومسلم ٤١٨].

والمراد بقوله: «إنكن لأنتن صواحب يوسف» أي أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن، قال ابن حجر في الفتح: «ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع، فالمراد به واحد، وهي عائشة فقط، كما أن «صواحب» صيغة جمع والمراد زليخا فقط، ووجه المشابهة بينهما في ذلك أن زليخا استدعت النسوة، وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك، وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف ويعذرنها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها؛ كونه لا يُسمع المأمومين القراءةَ لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك، وهو أن لا يتشاءم الناس به، وقد صرحت هي فيما بعد ذلك؛ فقالت: لقد راجعته، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أنه يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً [البخاري ٤٤٤٥، ومسلم ٤١٨] ». اهـ.

الثاني: عدم صحة إمامة القاعد المعذور للقائم الصحيح:

وهو مروي عن مالك في إحدى الروايتين عن الوليد بن مسلم، فقد روى عنه أنهم يعيدون الصلاة في الوقت، وروى ابن القاسم أنه لا تجوز إمامة القاعد، وأنهم إن صلوا خلفه قيامًا أو قعودًا بطلت صلاتهم، وهو قول محمد بن الحسن أيضًا.

ودليله:

١- عن جابر الجعفي عن الشعبي عن النبي ﷺ قال: «لا يُؤمَّن أحد بعدي جالسًا». [أخرجه الدارقطني والبيهقي وهو ضعيف].

٢- لأن القيام ركن فلا يصح ائتمام القادر عليه بالعاجز عنه كسائر الأركان.

مناقشة الأدلة:

١- اعترض أصحاب الرأي الأول على أدلة الرأي الثاني بالآتي:

١- بأن حديث: «لا يؤمن أحد بعدي جالسًا». حديث ضعيف، فجابر الجعفي متروك، والحديث مرسل لا تقوم به حجة، قال الشافعي: «قد علم الذي احتج بهذا أن ليست فيه حجة، وأنه لا يثبت لأنه مرسل؛ ولأنه عن رجل يرغب الناس عن الرواية عنه». اهـ.

٢- استدلالهم بالقياس على سائر الأركان مردود عليه بفعله ﷺ؛ حيث صلى إمامًا قاعدًا، وقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي». [البخاري ٦٣١].

اعترض أصحاب الرأي الثاني على أدلة الرأي الأول بما يلي:

بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

١- بأن صلاته £ إمامًا قاعدًا خاص به £، ومما يدل على الخصوصية ما يلي:

أ- بأنه لا يصح التقدم بين يديه؛ لنهي الله تعالى عن ذلك؛ حيث قال تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

ب- لأن الأئمة شفعاء، ولا يكون أحد شافعًا له، ولا يشكل عليه بصلاته خلف أبي بكر؛ لأن محل المنع إذا أمَّه هو، أما إذا أمَّ غيره وجاء £ وأبقاه فلا منع.

جـ- نقل ابن العربي عن بعض الأشياخ أن الحال أحد وجوه التخصيص، وحال النبي £ والتبرك به، وعدم الإعراض عنه يقتضي الصلاة معه على أي حال كان عليها، وليس ذلك لغيره. ذكره الزرقاني في شرحه على الموطأ.

د- لأن صلاة النبي £ قاعدًا أفضل من صلاة غيره قائمًا.

هـ- أن الخلفاء الراشدين لم يفعل ذلك أحد منهم، فلم يثبت عنهم رضي الله عنهم أن صلوا بالناس قعودًا.

و- بأن حديث: «صلوا كما رأيتموني أصلي» عام، وما ثبت في الأحاديث التي استدلوا بها خاص بالنبي £.

الرأي الراجح:

هو الرأي الأول القائل بصحة إمامة القاعد المعذور للقائم الصحيح؛ وذلك لقوة أدلته، ولضعف حديث جابر الجعفي، ولأن دعوى الخصوصية منقوض بأمره £ بالائتمام بالأئمة: «وإذا صلى قاعدًا فصلوا قعودًا أجمعون». وقوله: «وإذا صلى جالسًا...»، إلا أن إمامة القاعد للقائم على خلاف الأولى.

قال النووي في المجموع: قال الشافعي والأصحاب: يستحب للإمام إذا لم يستطع القيام استخلاف من يصلي بالجماعة قائمًا، كما استخلف النبي £؛ ولأن فيه خروجًا على خلاف من منع الاقتداء بالقاعد، ولأن القائم أكمل وأقرب إلى إكمال هيئات الصلاة، واعترض بعض الناس على الشافعي؛ حيث قال: يستحب له الاستخلاف، مع أن النبي £ أمَّ قاعدًا، وأجاب الأصحاب بجوابين أحدهما: أن النبي £ فعل الأمرين، وكان الاستخلاف أكثر فدلَّ على فضيلته، وأمَّ قاعدًا في بعض الصلوات لبيان الجواز.

الجواب الثاني: أن الصلاة خلفه قاعدًا أفضل منها خلف غيره قائمًا بدرجات بخلاف غيره. اهـ.

وقال ابن قدامة في المغني: «المستحب للإمام إذا مرض وعجز عن القيام أن يستخلف؛ لأن الناس اختلفوا في صحة إمامته فيُخرج من الخلاف، ولأن صلاة القائم أكمل، فيُستحب أن يكون الإمام كامل الصلاة». اهـ.

ثانيًا: شرطا إمامة القاعد المعذور للقائم الصحيح:

قال ابن قدامة في المغني: «ولا يؤم القاعد من يقدر على القيام إلا بشرطين: أحدهما: أن يكون إمام الحي، نص عليه أحمد، فقال: ذلك لإمام الحي؛ لأنه لا حاجة بهم إلى تقديم عاجز عن القيام إذا لم يكن الإمام الراتب، فلا يتحمل إسقاط ركن في الصلاة لغير حاجة، والنبي £ حيث فعل ذلك كان هو الإمام الراتب».

الثاني: أن يكون مرضه يرجى زواله؛ لأن اتخاذ الزَّمِن ومن لا تُرجى قدرته على القيام إمامًا راتبًا يُفضي إلى تركهم القيام على الدوام، ولا حاجة إليه؛ ولأن الأصل في هذا فعلُ النبي £، والنبي £ كان يُرجى برؤه. اهـ.

ثالثًا: حكم إمامة العاجز عن القيام لمثله:

يجوز للعاجز عن القيام أن يؤم مثله؛ لأنه إذا أمَّ القادرين على القيام فمثله أولى، ولا يُشترط في اقتدائهم به أن يكون إمامًا راتبًا، ولا أن يكون مرضه يرجى برؤه؛ لأنه ليس في إمامته لهم ترك ركن مقدور عليه، بخلاف إمامته للقادرين على القيام.

رابعًا: حكم إمامة تارك ركن من الأفعال:

اختلف الفقهاء في حكم إمامة من ترك ركنًا من الأفعال؛ كالمضطجع، والعاجز عن الركوع والسجود على قولين:

الأول: يرى عدم جواز إمامته لأحد، وهو قول أبي حنيفة ومالك. والثاني: يجوز، وهو قول الشافعي.

أدلتهم: دليل القول الأول: أنه أخلَّ بركن لا يسقط في النافلة، فلم يجز للقادر عليه الائتمام به كالقارئ بالأمي، وحكم القيام حق بدليل سقوطه في النافلة، وعن المقتدين بالعاجز.

ب- ولأن النبي £ أمر المصلين خلف الجالس بالجلوس، ولا خلاف في أن المصلي خلف المضطجع لا يضطجع.

دليل القول الثاني: لأنه فعلٌ أجازه المرض فلم يغيِّر حكم الائتمام كالقاعد بالقائم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

مسابقة القرآن الكريم بالمركز العام

يسر إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام أن تعلن عن المسابقة السنوية في حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره

أولاً: مستويات المسابقة:

١- حفظ القرآن الكريم كاملاً مجودًا مع تفسير سورة (الأحزاب).

٢- حفظ القرآن الكريم كاملاً مجودًا.

٣- حفظ عشرين جزءًا مع التجويد (تطبيقًا عمليًا).

٤- حفظ عشرة أجزاء مع التجويد (تطبيقًا عمليًا).

٥- حفظ خمسة أجزاء مع التجويد (تطبيقًا عمليًا).

ثانيًا: يجري كل فرع من فروع أنصار السنة المحمدية اختبارات لطلابه ليرشح من خلالها طالبين وطالبتين في كل مستوى من مستويات المسابقة، ولا يقبل من أي فرع أكثر من هذا العدد.

ثالثًا: تجرى المسابقة حسب الجدول الآتي:

١- يوم السبت ٣ / جمادى الأولى سنة ١٤٣١هـ، الموافق ١٧ / ٤ / ٢٠١٠م اختبار المتسابقين في المستوى الأول.

٢- يوم الأحد ٤ / جمادى الأولى سنة ١٤٣١هـ، الموافق ١٨ / ٤ / ٢٠١٠م اختبار المتسابقين في المستوى الثاني.

٣- يوم الاثنين ٥ جمادى الأولى سنة ١٤٣١هـ، الموافق ١٩ / ٤ / ٢٠١٠م اختبار المتسابقين في المستوى الثالث.

٤- يوم الثلاثاء ٦ جمادى الأولى سنة ١٤٣١هـ الموافق ٢٠ / ٤ / ٢٠١٠م اختبار المتسابقين في المستوى الرابع.

٥- يوم الأربعاء ٧ جمادى الأولى سنة ١٤٣١هـ الموافق ٢١ / ٤ / ٢٠١٠م اختبار المتسابقين في المستوى الخامس.

رابعًا: شروط المسابقة:

١- ألا يزيد عمر المتسابق في المستويين الأول والثاني عن ثلاثين عامًا، وفي الثالث عن خمسة وعشرين عامًا، وفي الرابع عن عشرين عامًا، وفي الخامس عن خمسة عشر عامًا.

٢- ألا يكون قد سبق له الفوز في المستوى المتقدم للتسابق فيه، أو الأدنى منه.

٣- يرفق المتسابق صورة الهوية التي تحمل تاريخ ميلاده.

٤- آخر موعد لقبول كشوف الأسماء من الفروع يوم الأحد ١٢ ربيع الآخر ١٤٣١هـ، الموافق ٢٨ / ٣ / ٢٠١٠م.

٥- تقدم كشوف الأسماء بالمركز العام في الدور السادس (مكتب إدارة شئون القرآن)، وبالدور السابع بمجلة التوحيد للأستاذ محمد مسعد.

خامسًا: جوائز المسابقة:

المستوى الأول: الفائز الأول: ١٥٠٠ جنيه، والثاني: ١٣٠٠ جنيه، والثالث: ١١٠٠جنيه، والرابع: ٩٠٠ جنيه، والخامس: ٧٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر ٥٠٠ جنيه لكل واحد منهم.

المستوى الثاني: الفائز الأول: ١٢٠٠ جنيه، والثاني: ١٠٠٠ جنيه، والثالث: ٨٠٠ جنيه، والرابع: ٦٠٠ جنيه، والخامس: ٤٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر ٣٠٠ جنيه لكل واحد منهم.

المستوى الثالث: الفائز الأول ٨٠٠ جنيه، والثاني: ٧٠٠ جنيه، والثالث: ٦٠٠ جنيه، والرابع: ٤٠٠ جنيه، والخامس: ٣٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر ٢٠٠ جنيه لكل واحد منهم.

المستوى الرابع: الفائز الأول ٦٠٠ جنيه، والثاني: ٥٠٠ جنيه، والثالث: ٤٠٠ جنيه، والرابع: ٣٠٠ جنيه، والخامس: ٢٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر ١٠٠ جنيه لكل واحد منهم.

المستوى الخامس: الفائز الأول: ٥٠٠ جنيه، والثاني: ٤٠٠ جنيه، والثالث: ٣٠٠ جنيه، والرابع: ٢٠٠ جنيه، والخامس: ١٠٠ جنيه، ومن السادس إلى العاشر: ٥٠ جنيهًا لكل واحد منهم.

مع تمنيات إدارة شئون القرآن بالتوفيق للجميع.



سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٧ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.

.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.



مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
مجلة التوحيد .. صرح علمي لا يستغني عنها مسلم .
سارع باقتناء مجموعة مجلدات مجلة التوحيد .
38 عامًا من شروح العقيدة والشريعة بـ ٧٠٠ جنيه فقط
تحتوي على علوم الفقه والتفسير والسيرة والفتاوى وغيرها .
المجلدات لأي مكان خارج مصر تباع بـ ٢٥٠ دولارًا شاملة سعر الشحن .
المجلد الجديد لعام ١٤٣٠ هـ يباع بـ ٢٥ جنيهًا فقط.